مبادئ علم المفاضلات عند أئمة القراءة – دراسة تأصيلية تطبيقية

أ.م. د. سلوى بنت أحمد الحارثي

أستاذ القراءات المشارك ـ قسم القراءات ـ كلية الشريعة والأنظمة- جامعة الطائف
المملكة العربية السعودية
Email : Salwa.h@tu.edu.sa

الملخص

علم الجرح والتعديل من العلوم التي خصُت ببالغ الاهتمام من قبل نقاد أهل الفن من المقرئين؛ لأثر ذلك على قبول الرواية أو ردها؛ فكثرت فنونه وتشعبت قضاياه.

وقد جهد أئمة القراءة أنفسهم في تفقد أحوال الرواة وتفحصها، إذ لم يقتصر الأمر على النظر في حال الراوي من حيث العدالة والضبط، وبيان مكانهم ومنازلهم في العلوم، حيث الموازنة بين الرواة وإجراء المقارنة بين الأقران، ليظهر جانب تميز القارئ وتقدمه على غيره في أحد جوانب التفاضل كالحفظ، أو الضبط، أو سعة الرواية، أو الإحاطة باللغة، والعلم بمسائل الفقه والاجتهاد، وغيرها كثير لتؤخذ الرواية عن الأحفظ والأضبط والأوسع علما، والأعظم دراية بالعلوم.

وقد لُمست هذه العناية في كتب التراجم إذ تضمنت ألفاظا تدلل على نوع المفاضلة في جوانب خبرات القارئ وعلومه المتعددة، والتي تنم عن إحاطة تامة بحال القراء، ومعرفة دقيقة بمروياتهم.

وقد أعددت هذه الدراسة المنهجية العلمية التأصيلية لإظهار الأسس التي اعتد بها أهل التحقيق والنظر في رجال الإقراء، وما ينضبط به تلقي الروايات، وأثره في إثبات الروايات واستحفاظها، أو المفاضلة بينها واستحبابها، مع سوق شواهد الاستدلال من أقوال الأئمة، وتحرير مواضع الاستنباط منه

7

Principles of Quran Recitation Tradeoffs According to Quran Recitors: An Applied Fundamental Study

Dr. Salwa Bent Ahmed Elharithi
Associate Professor of Quranic Recitations, Faculty of Sharia and Systems, Taif University, KSA

Summary:

The science of wound and modification is one of the important sciences for reciters and other people of hadith and jurisprudence, because of its impact on the acceptance or rejection of the novel, so its arts abounded and its issues branched. The imams have made an effort to inspect and examine the conditions of the narrators, so it was not limited to looking at the narrator's situation in terms of justice and control, but in terms of balancing between the narrators and comparing them with peers, and indicating their place and homes with each other, to show the side of the reader's distinction and progress over others in the aspect of memorization, or control, or the capacity of the novel, or knowledge of language, and knowledge of issues of jurisprudence and ijtihad, and many others to take the narrator from the most memorable, the most accurate, the most knowledgeable, and the most knowledgeable in science. This care has been felt in the books of translations, as they included words that indicate the type of differentiation in the aspects of the reader's experiences and multiple sciences, which reflect a full awareness of the situation of readers, and accurate knowledge of their narratives. This study has prepared the original scientific methodology to show the foundations used by the people of investigation and consideration of the men of reading, and what disciplines the receipt of novels, and its impact on proving and preserving narrations, or comparing them and desirable, with the market evidence of inference from the sayings of imams, and editing places .

المقدمة:

الحمد لله الذي اختصنا بشرعه القويم، وأرشدنا وهدانا إلى صراطه المستقيم، وأنزل علينا أفضل كتاب معجزة تصديقاً لنبيه الكريم، ﷺ وعلى آل بيته وصحابته أجمعين.

وبعد: فإن مما اتفقت عليه جموع الأئمة، وانتظم فيه فكر السلف والخلف أن دراسة الأسانيد والكشف عن أحوال الرجال ضرورة دينية، لا تقل أهمية عن دراسة النصوص الشرعية التي هي مناط الصون ومحل الرعاية، ذلك أن قبولها مرهون بحال الرواة عدالة وضبطا، وبالسند سلامة واتصالا، ولولا هذا التحري لقال من شاء في دين الله ما شاء.

ولم يأل علماء القراءات جهدا في تنقيح الأسانيد وتفنيد عللها، والتنقيب عن أحوال رجالها، حتى أن المطالع لتراجم القراء يلمس جوانباً للمفاضلات، ويلمح تحريراً ونظرا لبعض الاعتبارات، وبالضرورة علم أن تلك الجهود لم تكن محصورة في التثبت من الرواية، ولم تكن مقتصرة على ضبط القارئ وسلامته من أسباب الفسق وخوارم المروءة، حيث المبالغة في الاجتهاد وإعمال منهج المفاضلة حال تساوي الروايات وطرقها، استبراء للذمة، واحتياطا للرواية، وتحرياً لأصح الأسانيد وأعلاها.

يقول الامام ابن مجاهد: وحملة القرآن متفاضلون في حمله، ولنقلة الحروف منازل في نقل حروفه، وأنا ذاكر منازلهم، ودال على الأئمة منهم، ومخبر عن القراءة التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام، وشارح مذاهب أهل القراءة، ومبين اختلافهم واتفاقهم إن شاء الله[1] ويقول مكي في بيان صفة من يجب أن يقرأ عليه، وينقل عنه: يجب على طالب القرآن أن يتخير لقراءته ونقله وضبطه أهل الديانة والصيانة والفهم في علوم القرآن والنفاذ في علم العربية وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم، فإذا اجتمع للمقرئ

(١) السبعة في القراءات، لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ، ص: ٥٣

صحة الدين والسلامة في النقل والفهم في علوم القرآن والنفاد في علم العربية والتجويد لحكاية ألفاظ القرآن كملت حالته، ووجبت إمامته[1] ولما كان الكلام حول (قواعد النقد) ودواعي المفاضلة بين رجال الإقراء في أقوال الأئمة النقاد مغمورا، ألزمت الفكر بأن هذا العلم يحتاج إلى تأصيل وتأسيس ودعم بالشواهد، فارتأيت أن أقدم تلك الضوابط والأسس التي عول عليها الأئمة في إجراء المفاضلة بين رجال الإقراء في دراسة منهجية علمية استقرائية تحليلية، والذي سأقدمه في هذا البحث فرع من علم الجرح والتعديل الذي هو آلة النقد للكشف عن زيف النصوص وخفايا الرجال، وهي مقدمة لابد منها لمن حرر وحقق، واجتهد ونقح، علما أن هذا الفرع من العلم كان صنعة حديثية وعملا تطبيقيا حولته الحاجة إلى علم نظري، أصلي المسائل، مرجعي القواعد، منارا لكل سالك مسلك النقد والتنقيح، وصار لهذه المقدمات بيئة خصبة في أوساط أهل الصنعة الحديثية، كثر فيها التحرير والبيان، والتأسيس والتأصيل، والتنظير والتطبيق، غير أن الحال عند أئمة الإقراء مغاير تماما فقد ظل الاكتفاء بالجانب التطبيقي مع إشارات يطلقها الأئمة تعديلا وتوثيقا، أو تجهيلا وتجريحا في كتب التراجم ومقدمات كتب الرواية، تعكس بطبيعة الحال تعميدهم للعديد من الضوابط في تمييز الصحيح من السقيم، والغث من السمين، وبيان مقتضيات الإعمال أو الإهمال، الأمر الذي استدعى في تأصيل مسائل هذا العلم الاستعانة بأقوال أهل الصنعة الحديثية دعماً للمقال، وأرجو من الله أن أكون أول من شق النواة، ووضع حجر الأساس في قاعدة بنيان هذا الفرع من العلم الذي سيعرف لاحقا بعلم (مصطلح القراءات)، والذي سيسير جنبا إلى جنب مع علوم القراءات ويلحق بأبواب الدراية.

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب القيسي القرطبي، تحقيق: أحمد حسن فرحات، نشر: دار عمار بالأردن، الطبعة الأولي ص٢٢.

وأقول إنه علم إحاطته مهمة لكل متخصص في علم القراءات، لكن يبعد أن نحتاج إليه اليوم في نقد النقول أو الترجيح بين الرواة والروايات، بخلاف ما عليه أهل الصنعة الحديثية اليوم من دراسة الأسانيد والبحث عن أحوال الرواة وتصدير الأحكام في التضعيف والتصحيح، فغاية المقصد من بحثه تجلية نهج الأوائل في المفاضلة بين الروايات والطرق، كي تتضح لسالك الطريق أنوار هدايته وأسرار معارفه، ومؤكد ألا غنى لطالب علم عن معرفة منهاج أهله، ومما يستدعي الحديث عنه في هذه المقدمة التي خَصَّت مبادئ المفاضلات بالحديث دون ذكر أو عناية بمراتب التعديل، أنه يعود لخصوصية العلم، وسمو معايير قبول القراءة، ذلك أن قراء القرآن هم على مستوى عال من العدالة والضبط، فجرت معايير المفاضلة في قبول الروايات بين الأحفظ والأعدل ونحوه، بعيداً عن الحاجة لقبول قراءة الضعيف أو قليل الديانة، أو العمل على تقوية الطريق بالقرائن.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره: تعد دراسة الأسانيد والنظر في أحوال الرجال رافدا أصيلا استند عليه الأئمة في قبول الروايات، يقول القسطلاني: "علم الإسناد في القراءات هو أعظم مدارات هذا الفن؛ لأن القراءات سنة متبعة، ونقل محض، فلابد من إثبات صحتها، ولا طريق إلى ذلك إلا بالإسناد، فلهذا توقفت معرفة هذا العلم عليه"[(١)]، وعلم المفاضلات هو أحد فروع علم الإسناد، ثم إن من أعظم أسباب اختيار هذا الموضوع أهمية الإحاطة بضوابط قبول الروايات المعتبرة عند أئمة الشأن في رجال الإقراء، وقرائن الترجيح عند التساوي، إما احتياطا للرواية، أو تحريا لأحسن القراءات وأعلاها.

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥ هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة: ص١٧٢.

أهداف البحث:

١- إبراز جهود الأئمة النقاد في الاحتياط لكتاب الله من خلال اعتبار الضوابط والأسس في تقديم وترجيح الرواة.

٢- دراسة الضوابط والأسس التي اعتد بها الأئمة في رجال الإقراء.

٣- إظهار أثر الاعتداد بهذه الضوابط في قبول رواية الراوي، أو تقديمها عند التساوي.

الدراسات السابقة: من خلال البحث والتتبع لم أجد من أفرد هذا الموضوع بدراسة نظرية تأصيلية مستقلة، استُقرئت فيها ضوابط الأئمة المقرئين في تلقي القراءات من الرجال، وبُحثت فيه أهمية تلك الاعتبارات، وأثرها في المرويات من حيث القبول والرد، أو المفاضلة والترجيح.

منهج البحث:اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وفق الخطوات التالية: اتبعت في تقسيم مباحث هذا البحث على الاستقراء التاريخي من كتب التراجم لمعرفة زمن تعميدهم لهذه الضوابط وتقسيم مباحث الدراسة وفقا لها.

جمع ما تفرق من قواعد نقد الرجال من كتب تراجم القراء وكتب القراءات رواية ودراية.

توثيق النصوص وعزوها لمصادرها المستفادة، حسب قواعد البحث المتبعة غير أني لا ألتزم الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم لكثرة إيرادهم، وخشية الإطالة والخروج عن الغرض الأصلي من الدراسة.

خطة البحث:اشتملت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس علمية عامة وذلك على النحو التالي:

المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع، وأبرز أسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في عرض الموضوع، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم المفاضلة.

المطلب الثاني: صيغ المفاضلة.

الفصل الأول: التفضيل والمفاضلة من سنن الله الكونية والشرعية:

المبحث الأول: التعريف بالسنن وبيان أهميتها.

المبحث الثاني: المفاضلة سنة إلهية في الخلق.

المبحث الثالث: المفاضلة سنة شرعية.

المبحث الرابع: الأصل في إجراء المفاضلة في القراءة والإقراء.

الفصل الثاني: معايير المفاضلة عند القراء وأئمة القراءة:

المبحث الأول: التفاضل من حيث سلامة الدين والعقل:

المطلب الأول: التفاضل من حيث العدالة.

المطلب الثاني: التفاضل من حيث الضبط.

المطلب الثالث: المفاضلة من حيث التوثيق.

المبحث الثاني: التفاضل من حيث العناية بالعلم وملازمة الإقراء:

المطلب الأول: التفاضل من حيث المهارة في أداء القراءة والإجادة فيها:

المطلب الثاني: المفاضلة من حيث المعرفة عنه باجتهاده في طلب الرواية:

المطلب الثالث: المفاضلة من حيث الملازمة للإقراء:

المبحث الثالث: التفاضل من حيث مراعاة المقرئ للشروط التي اشترطها الأئمة في قبول القراءة:

المطلب الأول: القراءة بالأثر.

المطلب الثاني: القراءة بما يوافق مصحف عثمان –رضي الله عنه–.

المطلب الثالث: العلم بالعربية.

المبحث الرابع: التفاضل من جهة الوعي الجمعي:

المطلب الأول: الاعتداد بانتساب القارئ إلى أحد البلدان الخمسة (المدينة مكة الكوفة البصرة الشام).

المطلب الثاني: الاعتداد بشهرة القارئ.

المطلب الثالث: الاعتداد باجتماع أهل البلد على قارئ بعينه دون غيره.

المبحث الخامس: التفاضل من حيث أمور فطرية أو مكتسبة في القارئ.

المطلب الأول: صفات فطرية.

المطلب الثاني: صفات مكتسبة.

المبحث السادس: التفاضل من حيث تفردات عالية عند القارئ:

المطلب الأول: اتساع الرواية، وتحصيلها بأكثر من طريق.

المطلب الثاني: رحلة القارئ في طلب العلم ورحلة القراء إليه.

المطلب الثالث: علو الأسناد وقلة الوسائط.

المطلب الرابع: الإحاطة بالقراءات السبع أو العشر.

المبحث السابع: التفاضل في جانب المعرفة بعلل الروايات والتمييز بين صحيحها وشاذها.

المبحث الثامن: التفاضل من حيث الإحاطة بالعلوم الأخرى المساندة.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل على فهرسين، أحدهما لقائمة المصادر والمراجع، والثاني لموضوعات البحث.

ومن الله أسأل العون والتوفيق والسداد.

التمهـــيد:

المطلب الأول: مفهوم المفاضلة

أولا: المفاضلة لغة: التفضيل في اللغة: مصدر فضل يفضل بالتضعيف، يقال: فضلته على غيره تفضيلا، أي: حكمت له بذلك وصيرته كذلك، وجعلته أفضل منه، وأفضل عليه: إذا زاد[1]، والفضل في القدر غير التفضل الذي بمعنى الأفضال والتطول[2] ومن الأول قوله – تعالى–: ﴿ فَقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾

[1] ينظر: "لسان العرب" محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ١٥ (١١٠٥/٢).

[2] ينظر: "كتاب العين" أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠ هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال/ ٧: ٤٤ .

[المؤمنون:٢٤] ويعدى بحرف الجر(على) قال–سبحانه–: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء:٧٠] قيل: تأويله أن الله فضلهم بالتمييز ففضله تفضيلا مزاه، والتفاضل: التماري في الفضل، وفاضله غالبه في الفضل، وفاضلني ففضلته: كنت أفضل منه [١]، والتفاضل بين القوم: أن يكون بعضهم أفضل من بعض، ورجل مفضول: قد فضله غيره، ويقال فضل فلان على غيره: إذا غلب بالفضل عليهم، وفاضل بين الشيئين: وازن بينهما، ليحكم بفضل أحدهما على الآخر[٢] وقال أبو هلال العسكري: الفضل الزيادة[٣] وقال: الفاضل هو الزائد على غيره في خصلة من خصال الخير، وقال: يقال فضل الشيء في نفسه، إذا زاد، وفضله على غيره إذا زاد عليه، وفضله بالتشديد إذا أخبر بزيادته على غيره[٤] **ويلاحظ** أن الجذر (ف. ض. ل) في المعجم لا يدل إلا على الزيادة الحسنة في مدح أو كمال، لكن هذه الزيادة في الاصطلاح يراد بها الزيادة المطلقة من كمال أو نقص[٥] فمادة فضل يدور معناه في اللغة على الزيادة المطلقة وأكثر استعمالها كدلالة عن الزيادة في الصفات الحسنة والكريمة.

قال القرطبي: التفاضل يبعد أن يكون في الأجناس المتحدة النوع، وإنما يكون التفاضل في النوع الواحد من الكائنات بالصفات، يقول القرطبي: الأشياء لا تتفاضل بأنفسها، فإن الجواهر والأعراض من حيث الوجود متماثلة، وإنما يقع التفاضل بالصفات[٦]، فأما فضل الاختصاص دون عمل فإنه يشترك فيه جميع المخلوقين من الحيوان الناطق، وغير

(١) "القاموس المحيط" لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م، ص ١٠٤٣.

(٢) "المعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة (٦٩٣/٢).

(٣) ينظر: "الفروق اللغوية" لأبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥ هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر/ ص: ١٨٩.

(٤)"الفروق اللغوية" لأبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، مرجع سابق، (١ / ١٨٩)

(٥) لسان العرب، مرجع سابق (٢ / ١١٠٥).

(٦) "الجامع لأحكام القرآن" أو "تفسير القرطبي" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات) الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤ م، (٦٧/١٣).

الناطق والجمادات ، كفضل ناقة صالح على سائر النوق، وفضل الحجر الاسود على سائر الحجارة، وفضل المساجد على سائر البقاع، وفضل شهر رمضان على سائر الشهور، وأما فضل المجازاة بالعمل فلا يكون البتة إلا للحي الناطق من الملائكة والإنس والجن فقط[١].

فالتفاضل ينقسم إلى: تفاضل كسبي وتفاضل اختصاصي أو غير كسبي:فأما التفاضل بما يُكتسب فهذا خاص بمن يكتسب من الاحياء دون ما لا حياة فيه، أو فيه حياة، ولا كسب له كالملائكة، ومثال ما يكتسب الغني فإنه فضل يكتسبه العبد، كما قال–سبحانه – ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾[النحل: ٧١] والجميع عطاء الله وبيده ولذلك أسند التفضيل في الرزق إليه –سبحانه –مع أن العبد يبلغه بالسعي والتكسب[٢] وقال: – سبحانه– ﴿قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾[آل عمران: ٧٣]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [غافر:٦١] وأما التفاضل على المعني الثاني: أقصد الكسبي والاختصاصي: فكفضل أدم –عليه السلام– فإنه فضل بما لا يكتسب، فذاته قد خلقها الله بيده ونفخ فيها من روحه كما في حديث احتجاج أدم، وموسى–عليهما السلام– المتفق عليه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال: رسول اللهﷺ : قال موسى: أنت آدم خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه[٣]، وكذلك خلقه الله على صورته كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(خلق الله –تعالى – أدم على صورته) [٤] وهذه الفضائل ليست مما يكتسب.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ٩١/٤

(٢) ينظر: مباحث المفاضلة في العقيدة الدكتور محمد عبدالرحمن ابو سيف : ٤٢:٢٥

(٣) صحيح البخاري ١٣٤/٤ ح(٣٣٤٠)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم} و ٨٤/٦ ح(٤٧١٢)، كتاب تفسير القرآن، باب {ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا} و ١١٦/٨ ح(٦٥٦٥)، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، وصحيح مسلم ١٨٠/١ ح(١٩٣)، ١ -كتاب الإيمان، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها وص /١٨٤ ح(١٩٤)، ١ -كتاب الإيمان، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها و ٢٠٤٣/٤ ح(٢٦٥٢)، ٤٦ -كتاب القدر، ٢ - باب محاج آدم وموسى

(٤) صحيح البخاري ٥٠/٨ ح(٦٢٢٧)، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، وصحيح مسلم ٢١٨٣/٤ ح(٢٨٤١)، ٥١ -كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١١ - باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير

ثانيا: اصطلاح المفاضلة عند أئمة القراءة: أما المفاضلة في اصطلاح القراء فلم أعثر على من تطرق لها بتعريف، وقد اجتهدت في وضع تعريف لها من خلال الاطلاع على جملة من الضوابط التي اعتد بها الأئمة في المفاضلة بين الرجال، فعرفتها بأنها تقديم القارئ لصفة فيه أو ميزة زائدة عنده عند التساوي مع غيره في قبول الرواية، أو تقديمه للقراءة عليه دون غيره، أو تعيينه للإقراء في المقارئ العامة والمناصب العليا، أو هي كون القارئ علي زيادة مخصوصة في صفات مخصوصة استلزمت تقديمه وتفضليه عن غيره من القراء،فالزيادة: المخصوصة هي الزيادة الحسنة في مدح أو كمال أو استحسان.

والصفات المخصوصة: تشمل تلك الصفات في أصل عدالته، أو في أصل قبول قراءته وتشمل غيرها من الصفات الكمالية والخارجة عن ماهية قبول قراءته.

فالنوع الأول من الصفات هي الصفات التي يشترط توفرها في القارئ لقبول روايته وهي: صفات العدالة، وصفات الضبط، وصفات قبول القراءة عند أهل الفن، فأصل تلك الصفات لابد أن يتوفر في القارئ لقبول روايته، ومع ذلك قد تتفاوت تلك الصفات في الزيادة والنقص بين قارئ وآخر، فقد ينال القارئ من صفة الضبط غايتها، ومن صفة العدالة تمامها، وينال أخر ضبط وعدالة يقبل معهما روايته ولكنه لم يبلغ مبلغ الأول ولم ينل فيهما ما ناله، وكذلك قد يتسع للقارئ من شروط قبول قراءته من موافقة لغة وخط مصحف مما يُقدمه على غيره فيدفع العلماء بعد ذلك إلى مدحه بأوصاف، وألفاظ معينة هي دلالة واضحة وبينة قاطعة تدلل على فضلانيته على غيره، وعلى تقديمه عليهم، ويتضح ذلك في وصف بعض العلماء لأحد القراء بأنه ديّن أو صين أو زاهد وغيرها،

ووصفهم لأخر بأنه فريد عصره، وقريع دهره، ونسيج وحده، وإمام وقته، وانتهى إليه علم الأثر ومعرفة العلل وهو قول الخطيب الدارقطني نقله ابن الجزري(١).

وكذلك في وصفهم للراوي بأنه حافظ، أو متقن، أو ضابط، ويصفون من فوقه بأحفظ الناس، وانتهت إليه رئاسة الإقراء، أو سيد القراءة وغيرها.

فالأول: منهما قد توفرت فيه شروط قبول أصل قراءته، وتحققت فيه لوازم ضبطه وعدالته.

والثاني: نال ما نال الأول ولكنه تحققت عنده زيادة في أوصاف التعديل، وألفاظ التوثيق، واتسعت له ما لم يتسع للأول من شروط قبول القراءة، فجاءت من هنا المفاضلة بين القراء. والنوع الثاني: من الصفات هي تلك الصفات الخارجة عن شرطية قبول الرواية ولا يتوقف عليها رد أو أخذ مثل: صفات حسن الصوت، أو من حيث تفردات عالية عند القارئ، أو من جهة الوعي الجمعي وغيرها، مما سنتعرض لذكره بإذن الله تعالى.

والتقديم: كما بينا يكون إما بالتقديم في الفضل والمكانة، أو التقديم للإقراء والمشيخة والترأس أو تقدمه في طلبه والرحلة إليه والقراءة عنه، وتبرز أهميته وتنجلي ذروة سنامه من حيثية تقديم الروايات والترجيح بينها واختيار أصحها على أساس اختلاف أصحابها وتفاضلهم على بعض.

ومبادئ المفاضلات: هي: القواعد العامة المعتبرة عند أئمة الشأن من أهل القراءة في تقديم راو على غيره من حيث الأخذ بروايته وتعميده، أو اختيار القراءة عليه.

وعلم المفاضلات: هو المعارف المتصلة بالرواية من جهة النقد لتقديم ناقلها على غيره استظهارا لأصح القراءات، وتقديمها على باقي الروايات، فهذا المفهوم لا يقتصر ولا يقف

(١) "غاية النهاية في طبقات القراء" لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١ هـ ، ج. برجستراسر (١/ ٥٥٩).

عند مرحلة قبول الرواية أو وردها، بل يتناول الترجيح بين الروايات واختيار وتقديم بعضها على بعض لذات الأسس التي قبلت لأجلها الرواية، فكم من ضابط وغيره أضبط منه، وكم من حافظ غيره أحفظ منه، وهكذا.

والناظر في أطراف هذا العلم يجد أنه باب واسع، بسبب تعدد فنونه وتشعب قضاياه، ويعد من العلوم الهامة عند أئمة القراءة؛ لأنه ينبني على الحكم على القارئ قبول قراءته وردها أو تقديمها وترجيحها، وقد أولى الأئمة النقاد هذا الفرع من العلم ولاية عظيمة نلمسها في كتب التراجم التي تذكر صفات الرواة وتبين مراتبهم ومكانهم من العلم، المؤثر قطعًا في قبول الروايات أو تقديمها.

المطلب الثاني– صيغ المفاضلة

إن عقد المقارنة بين المخلوقات في الصفات والمميزات من ذات الجنس يستدعي استعمال صيغ مخصوصة في الكلام، وقد استعملت العرب صيغة عرفت عند اللغويين بصيغة أفعل التفضيل حال اشتراك الموجودات في الصفات أو المعاني وغيرها لإرادة التمييز، أو التفضيل، أو الترجيح، أو زيادة معنى، كأن تقول: أقبح، أغلى، أفضل، أقصر، أكثر، أحق، أشد، أجدر، ونحوها، ويجب حال إجراء المفاضلات أن يكون هناك فاضل ومفضول ولو لم يكن المفضول ظاهرا، ولكن لا يشترط في إعطاء الشيء صفة التفضيل وجود صيغة أفعل التفضيل، إذ يمكن من العرض أو السياق أن يفهم التفضيل من الكلام.

وقد سلك النقاد من أهل القراءة كلا المنهجين في إعمال المفاضلات بين القراء: فمثال النوع الأول: التفضيل بصيغة أفعل: قول ابن الجزري –رحمه الله– في الصحابي الجليل

أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أبو المنذر الأنصاري المدني: سيد القراء بالاستحقاق وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق[١].

ومنه الحسن بن سليمان بن الخير أبو علي الأنطاكي النافعي قال الداني عنه: كان أحفظ أهل زمانه للقراءات والغرائب من الروايات والشاذ من الحروف[٢] وكقولهم أقرأ الناس وأحسنهم أداءً وهو قول أبي عبد الله الحاكم في علي بن محمد بن الحسن بن محمد أبو الحسن الخبازي[٣] .

ومثال النوع الثاني: التفضيل الغير لفظي المستفاد من المعني، كقول ابن الجزري في محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة[٤] وقول ابن الجزري في ترجمة أبي عبيد القاسم بن سلام: الداني: إمام أهل دهره في جميع العلوم، صاحب سنة، [٥].

الفصل الأول

التفضيل والمفاضلة من سنن الله الكونية الشرعية

المبحث الأول: التعريف بالسنن وبيان أهميتها.

أولا: تعريف السنة لغة: تعددت وجوه استعماله في اللغة العربية، فتطلق ويراد بها: الطريقة والسيرة الحسنة أو القبيحة، ويراد بها المنهج المتبع، أو تطلق ويراد بها العادة والتقاليد أو يراد بها الشريعة، أو يراد بها غيرها من مفردات لغوية كثيرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، ولهذا أمر الله تعالى بالاعتبار). [٦] وقال الراغب: (السنن: جمع سنة،

---

[١] "غاية النهاية في طبقات القراء" للابن الجزري، مرجع سابق (١/ ٣١).

[٢] غاية النهاية في طبقات القراء" للابن الجزري، مرجع سابق (١/ ٢١٥)

(٣) المرجع سابق (٥٧٧/١).

(٤) المرجع السابق (٢/ ٩٧).

(٥) المرجع السابق (١٨/٢).

[٦] ينظر: "مجموع الفتاوى" لشيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، العناوين التي وضعها محققا طبعة دار الوفاء (أنور الباز وعامر الجزار) ط ٣، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م في الهامش أضيف كتاب صيانة مجموع الفتاوى من السقط والتصحيف، للشيخ ناصر بن حمد الفهد /

وسنة الوجه: طريقته، وسنة النبي طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله –تعالى–: قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته، نحو: (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنت الله تحويلا)، فتنبه أن فروع الشرائع–وإن اختلفت صورها–فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل، وهو تطهير النفس، وترشيحها للوصول إلى ثواب الله تعالى وجواره[١] وقال ابن منظور: وسنة الله: أحكامه وأمره ونهيه، وسننها الله للناس، بينها، وسن الله سنة: أي بين طريقا قويما، قال الله –تعالى–: ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ [الأحزاب: ٦٢] نصب سنة الله على إرادة الفعل، أي: سن الله ذلك في الذين نافقوا الأنبياء، وأرجفوا بهم، أن يقتلوا أنى ثقفوا، والسنة السيرة، حسنة كانت أو قبيحة وسننتها سنا واستننتها: سرتها، وسننت لكم سنة فاتبعوها...وكل من ابتدأ أمرا عمل به قوم من بعد قيل: هو الذي سنه، قيل: فلان من أهل السنة معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق، وسنن الطريق وسننه نهجه...والسنة في الأصل: سنة الطريق، وهو طريق سنه أوائل الناس فصار مسلكا لمن بعدهم. وسنن الطريق وسننه محجته، والسنن الطريقة، يقال استقام فلان على سنن واحد...والسنن: القصد، سنن الرجل: قصده وهمته. وجاءت الرياح سنائن: إذا جاءت على وجه واحد وطريقة واحدة لا تختلف، وبنى القوم بيوتهم على سنن واحد: أي على مثال واحد[٢] فتطلق السنة في اللغة على الطريقة والسيرة والعادة، وسنة النبي ﷺ : طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله: تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته[٣].

نشر: دار أضواء السلف، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م، الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م. ٢٠/١٣. ١.

[٢] ينظر: "المفردات في غريب القرآن" لأبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢ هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية -دمشق بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٢ هـ. كتاب السين ص: ٤٢٩.

[٢] ينظر: "لسان العرب" لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١ هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ. مادة سنن ٣٩٥/٦

[٣] ينظر: "سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم دراسة تأصيلية تطبيقية" للدكتور بكار محمود الحاج جاسم، طبعة دار النوادر لبنان سنة الطباعة ٢٠١٢. ص: ١٩ – ٢٢ بتصرف

ثانيا: تعريف السنة في الاصطلاح: تطلق السنة في الاصطلاح على عدة وجوه:

أولا: يراد بها عند الأصوليين المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي فعرفت عندهم بأنها: ما صدر عن الرسول ﷺ من الأدلة الشرعية، مما ليس بمتلو، ولا هو معجز، ولا داخل في المعجز (١).

ثانيا: ويراد بها عند أهل الحديث: أقوال النبي ، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخلقية والخلقية، وزاد بعضهم وأقوال الصحابة والتابعين، وأفعالهم (٢).

ثالثا: ويراد بها عند الفقهاء: ما طلب الشرع فعله من المكلف طلبا غير لازم(٣).

فأما لفظ السنة في القرآن الكريم فيتحدد معناها من خلال عرض وشرح الآيات الكريمة التي وردت فيها(٤) ويستشف معني السنة في القران الكريم على ثلاثة أوجه:

المعنى الأول: الطريقة الحميدة وهو المعنى المراد في قوله –تعالى–: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء: ٢٦] المعنى الثاني: سنة الله فيما أباح للرسل، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿ مَا كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفى بِاللَّهِ حَسِيباً (٣٩) ﴾. [الأحزاب: ٣٨–٣٩] والمعنى الثالث: العادة المألوفة والمثال المتبع في التعامل مع الأمم حال الطاعة وحال المعصية ، وهو المراد في قوله– تعالى–: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ

(١) ينظر: "الإحكام في أصول الأحكام" لأبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان ١٥٦/١

(٢) ينظر: "الوسيط في علوم ومصطلح الحديث" للشيخ محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الفكر العربي. ص: ١٦

(٣) ينظر: "الفقه الإسلامي وأدلته" (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخريجها) لـ أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق -كلية الشريعة، الناشر: دار الفكر - سورية – دمشق، الطبعة: الرابعة المنقحة المعدلة بالنسبة لما سبقها (وهي الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة) د. وهبة الزحيلي الفقه الإسلامي وأدلته: ٥٢/١

(٤) ينظر: "سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم دراسة تأصيلية تطبيقية" للدكتور بكار محمود الحاج جاسم، طبعة دار النوادر لبنان سنة الطباعة ٢٠١٢. ص: ١٩ - ٢٢

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾ . [آل عمران: ١٣٧-١٣٩] وقوله: ﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً (٧٧) أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً (٧٩) ﴾ [الإسراء: ٧٧-٧٩] وكذلك سائر المواضع الأخرى في القران الكريم التي ذكرت فيها لفظ السنة، وهذا المعنى الثالث هو المقصود في هذا البحث، وهو الذي رامه أهل العلم في كلامهم عن إجراء سنن الله تعالى، الالتزام بفقهياتها[١].

المبحث الثاني: المفاضلة سنة إلهية في الخلق.

قبل الحديث عن منشأ هذا العلم والأصل فيه (فالاختلاف والتفاضل) سنة إلهية مطردة في الطبيعة والمجتمع، وقد هدى الله الخلق إلى إدراك هذا التفاضل المتعلق بسلوك الإنسان بالعقل والمشاعر، فمنحهم الفهم والحواس للكشف عنه بالنظر والاعتبار والتجربة والاختبار[٢] ووثق الله –تعالى– هذه السنة وأصلها في آيات كثر، يقول –جل في علاه–: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[البقرة:٢٥٣]، ويقول: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، ويقول في حق الأمة المحمدية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وجعلت مع رسولها شاهدة على الخليقة يوم القيامة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[البقرة: ١٤٣]، وكثيرا ما يرد التفريق بين أحوال المؤمنين ومن خالفهم من الكفار والمنافقين في الأفعال والمآل

---

[١] ينظر: "السنن الكونية والاجتماعية من خلال القرآن الكريم، دراسة موضوعية، للدكتور كمال قدة. ، ص: ٤ – ٦.

(٢) ينظر: السنن الإلهية الكونية والاجتماعية ((لطائف وبصائر)) لـ د. رشيد كهوس، بحث منشور ضمن أبحاث مجلة تدبر في عددها الأول، (١٦٠/١).

والدرجات والدركات، والشواهد في هذا الباب كثير، يقول صاحب تفسير بيان المعاني: التفاضل موجود بين عوام البشر، فلأن يكون بين خواصهم من باب أولى، ثم بين الله – تعالى– هذا التفاضل بقوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٥٣]شِفَاها بلا سفير كموسى –عليه السلام– وقد خصه به؛ لأن التكليم من أفضل معجزاته وأعظمها، فلا تقاس باليد والعصا ورفع الجبل وفلق البحر وإخراج الماء من الصخر وغيرها ؛ لأنها دونها بكثير، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾[البقرة: ٢٥٣] فوق بعض ﴿دَرَجَاتٍ﴾[البقرة: ٢٥٣]كثيرة، وخص بعضهم بما لم يخص به الآخر، وهذا ما عليه إجماع الأمة، وأولو العزم أفضل من غيرهم، ومحمد –عليه أفضل الصلاة والسلام –أفضل من الجميع لعموم رسالته[1] وقد ذكر القرآن الكريم كذلك أمر تفاضل الثمار على بعض، وذلك في قوله –تعالى–: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]، وذكر أمر تفضيل الزمان بعضه على بعض، في قوله: ﴿لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر:٣]، وذكر أمر تفاضل الأمكنة في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ [آل عمران: ٩٦– ٩٧] ولا شك أن تفضيل الكائنات والمخلوقات على بعض شأن خالقها، وفضل محض يمن به على من يشاء من عباده، لا راد لفضله، ولا مانع لقدرته ومشيئته، يقول –تعالى–: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩] ونبه القرآن الكريم على أن ألا يعترض أحد على التفضيل الإلهي، يقول–تعالى–: (ولا تتمنوا ما فضل الله بعضكم على بعض) [النساء:٣٢]، فقد

(١) "بيان المعاني" عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨ هـ)، الناشر: مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ-١٩٦٥ م (٢٢١/٥).

روى الإمام أحمد في مسنده: حدثنا سفيان بن أبي نجيح عن مجاهد، قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[النساء: ٣٢][1] وقال –جل في علاه– في شأن من اعترض على اختصاص الرسول بالرسالة من كفار قريش: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١]، فرد عليهم: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً﴾ [الزخرف:٣٢] وذم أهل الكتاب في اعتراضهم على اصطفاء النبي –صلى الله عليه وسلم– من جملة العرب، يقول: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً ﴾[النساء: ٥٤] [2] فيقول الشيخ محمود عبد الرحيم: والنص عام في التفاضل بين الناس سواء في الأمور الموهوبة أم المكسوبة، كالقابليات، والمكانة والمتاع وكل ما تتفاوت فيه الأنصبة في هذه الحياة، وبدلا من إضاعة النفس حسرات وراء التفاوت، وبدلا مما يرافق ذلك من الحسد والحقد، وما ينشأ عن ذلك من سوء الظن بالله وبعدالة التوزيع، وحيث تكون القاصمة التي تذهب بطمأنينة النفس وتورث النكد والقلق، بدلا من ذلك كله أن يتوجه المرء بالطلب إلى الله، وبالسعي وتعاطي الأسباب المشروعة للوصول الى المبتغى[3] فهذا التفاضل من لله – عزوجل – امتحان للخلق، ويوضح الله –سبحانه– الحكمة من ذلك، وهذا ما يشير إليه الرازي حيث يقول: وقد بين –تعالى –وجه الحكمة في هذا التفاوت فقال:﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً

(١) "مسند أحمد" (٣٢٠/٤٤)، قال الحاكم في "المستدرك (٣٣٥/٢): "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين".
(٢) "موسوعة التفسير قبل عهد التدوين" لمحمد عمر الحاجي، الناشر: دار المكتبي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٧ م١٦٨.
(٣) "الجدول في إعراب القرآن" محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق -مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ٣١ (٣٠ ومجلد فهارس) في ١٦ مجلدا (٢٤/٥).

سُخْرِياً ﴾[الزخرف: ٣٢]، وقال في آخر سورة الأنعام:﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾[الأنعام:١٦٥][١] وفي ذلك تسخير حكمة في تنتظم حياة الكائنات، يقول الشوكاني: ليتخذ بعضهم بعضا سخريًا أي: ليستخدم بعضهم بعضا فيستخدم الغني الفقير، والرئيس المرؤوس، والقوي الضعيف، والحر العبد، والعاقل من هو دونه في العقل، والعالم الجاهل، وهذا في غالب أحوال أهل الدنيا، وبه تتم مصالحهم وينتظم معاشهم ويصل كل واحد منهم إلى مطلوبه، فإن كل صناعة دنيوية يحسنها قوم دون آخرين، فجعل البعض محتاجا إلى البعض لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا لهذا، ويعطي هذا هذا[٢]. وأيضًا من الحكم إشعال روح التنافس بين الخلق، يقول ابن قتيبة في أن لو كان الناس غير متفاضلون: ولو كان القرآن كله ظاهرا مكشوفا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر[٣].

المبحث الثالث: المفاضلة سنة شرعية

لما كان التفاضل سنة إلهية في الكون تقتضيها الفطر السليمة، فلقد تعددت معايير الناس في النظر في موازين التفاضل فقد جعل زعماء قريش النسب والثروة ميزان التقويم ومقياس التفاضل، وجعل صاحب الجنتين الثروة وكثرة الرجال والمزايا الشخصية معيار الخيرية، وجعل إبليس الماهية التي خلق منها الميزان والمقياس ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[الأعراف: ١٢] [٤] فعمد الخالق إلى صد هذا التخبط والعشوائية

(١) "تفسير الرازي" "مفاتيح الغيب" أو "التفسير الكبير" لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة١٤٢١هـ (٣١٩/٢٠).

(٢) "فتح القدير" محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٤ هـ(٦٣٤/٤).

(٣) "تأويل مشكل القرآن" أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦ هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ص ٥٨.

(٤) "مباحث في التفسير الموضوعي" مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م ص ٢٤٢.

في موازنة الأمور، وبين للناس أساس التفاضل وجماع الأمر فيه، فجعله بالتقوى وعلقه بتفاوت الخلق في مقداره في كل قلب ومدى خشيته من ربه، وأثر ذلك في زيادة العمل والإخلاص فيه، يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] يقول عبد الله الخضر: وتفاضل الأعمال يستلزم تفاضل العامل؛ لأن الإنسان يشرف، ويفضل بعمله؛ وتفاضل الأعمال يستلزم زيادة الإيمان؛ لأن الإيمان قول، وعمل؛ فإذا تفاضلت الأعمال تفاضل الإيمان –أعني زيادة الإيمان، ونقصانه –وهو مذهب أهل السنة، والجماعة[١].

وأمرت الشريعة الإسلامية بتقديم أولي العلم والفضل من أهل الديانة، إذ السبيل إلى تقوى الله هو التسلح والتسامح،لأجل مسايرة ومجاراة سنن الله الكونية في أمر التفاضل والاختلاف.

ويقول في آداب المجالسة وفضل العلم والعلماء: قال –تعالى–: ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾[المجادلة: ١١] لكم أيها المؤمنون ﴿انشُزُوا﴾[المجادلة: ١١] ارتفعوا وانهضوا عن مواقعكم ليجلس فيها إخوانكم القادمين عليكم الذين يرى الناس لهم فضلا من علم، أو فصاحة، أو أدب، أو شجاعة، أو أمارة، أو فعل ما ﴿فَانشُزُوا﴾[المجادلة: ١١]، وأخلوا لهم مواضعكم، وأكرموهم بالجلوس فيها، ولا تضاموا أو تغضبوا، وليكن ذلك عن طيب قلب منكم محافظة على التفاضل الذي سنه الله في خلقه المنوه به في قوله ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ [المجادلة:١١] على غيرهم بكثرة الطاعة، وامتثال الأوامر ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١] يرفعهم على غيرهم في الدنيا والآخرة[٢] وقد تكرر ورود تفضيل أهل العلم على غيرهم في القرآن الكريم، قال –تعالى–:﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر:٩]، وهذا المعنى مكرر في القرآن العظيم باللفظ وبالمعنى[٣] وقد

(١) "الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية" د. عبد الله خضر حمد، الناشر: دار القلم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٨ هـ-٢٠١٧ م (٣٣٨/٥).
(٢) "بيان المعاني" لعبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨ هـ)، الناشر: مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ-١٩٦٥ م ٢٠٧/٦.
(٣) المرجع السابق ٢٠٧/٦.

راعي رسولنا الكريم ﷺ سنة التفضيل، حيث جعل إجلال حامل القرآن، وذي الشيبة المسلم، والسلطان المقسط ديانة لله، ووسيلة إلى تعظيمه والتقرب إليه، فقد روى أبو داود في السنن باب تنزيل الناس منازلهم، يقول صلى الله عليه وسلم:

" إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، واكرام ذي السلطان المقسط" [(١)] وقد أثر عن النبي ﷺ يوم أحد تقديم أكثر أصحابه أخذا للقرآن في اللحد، روى ابن ماجة بسنده عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ "كان يجمع بين الرجلين، والثلاثة من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: (أيهم أكثر أخذا للقرآن؟) فإذا أشير له إلى أحدهم قدمه في اللحد وقال: (أنا شهيد على هؤلاء، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يصل عليهم، ولم يغسلوا) "[(٢)] وروعي أمر التفاضل في الإمامة بالناس كذلك، روى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي مسعود الأنصاري، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "ليؤم القوم أقرأهم لكتاب الله –تعالى–، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأكبرهم سناً، ولا يؤمن رجل في سلطانه ولا يجلس على تكرمته في بيته إلا أن يأذن"[(٣)] فأمر التفاضل سنة كونية مطردة، أقرتها الشرائع السماوية وأمرت بها، وبينت ما ينبغي التفاضل فيه حتى لا يتخبط الناس في ذلك خبط عشواء، فتقلب على إثره الموازين ويختل النظام.

المبحث الرابع: الأصل في إجراء المفاضلة في القراءة والإقراء

إن الناظر في أحوال رسول الله ﷺ وتعامله مع أصحابه وإكرامه للقراء يعلم أهمية الأمر الذي يوجب رعايته وصيانته، ومن ذلك: روى أحمد بسنده قالﷺ من سره أن يقرأ القرآن

(١) "سنن أبي داود" (٢٦١/٤)، يقول الألباني: "حسن". "صحيح الجامع الصغير وزياداته" (٤٣٨/١).
(٢) "سنن ابن ماجة" (٤٧٧/٢)، قال محققه شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح".
(٣) "مسند أحمد" (٣٢٤/٢٨)، قال محقق المسند شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد [١]، لما عرف به عبد الله بن مسعود من حسن الأداء، يقول الشيخ عطية قابل نصر: ولعل المقصد –والله أعلم–أن يقرأه على الصفة التي قرأ بها عبد الله بن مسعود من حسن الصوت وجودة الترتيل ودقة الأداء[٢] وأرشد ﷺ في روايات أخر إلى أخذ القرآن من أربعة من الصحابة فيقولﷺ : "خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة"[٣] يقول أبو عمرو الداني: في هذا الحديث أصل كبير في وجوب معرفة تجويد الألفاظ وكيفية النطق بالحروف على هيئتها وصيغتها، وأن ذلك لازم لكل قراء القرآن أن يطلبوه ويتعلموه، وواجب على جميع المتصدرين أن يأخذوه ويعلموه اقتداء برسول الله ﷺ فيما أمر به، واتباعا له على ما أكده بفعله؛ ليكون سنة يتبعها القراء ويقتدي بها العلماء[٤] وأكد العلماء أن سبب ذلك أن هؤلاء الصحابة أكثر ضبطًا لألفاظه وأتقن لأدائه، وإن كان غيرهم أفقه في معانيه منهم، أو لأن هؤلاء الأربعة تفرغوا لأخذه منه ﷺ مشافهة وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض، أو لأن هؤلاء تفرغوا لأن يؤخذ عنهم، أو أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته ﷺ من تقدم هؤلاء الأربعة وتمكنهم وأنهم أقعد من غيرهم في ذلك فليؤخذ عنهم[٥] ومن خلال ما سبق من أقواله وأفعاله ﷺ نفهم أن الصحابة ﷺ ليسوا على درجة واحدة من الإتقان والضبط لحروف التنزيل، فعمد ﷺ إلى المفاضلة بينهم، وأن يقدم للإقراء أكثرهم إتقانا، وكأنه يحث على تقديم الأخذ عمن بلغ المنتهى في قراءة القرآن وتجويده، ومن هنا نشأ علم المفاضلات في قراءة القرآن وإقرائه،

(١) أخرجه أحمد في المسند، عن عمر بن الخطاب٢٧٨/١، وابن خزيمة في صحيحه:١٨٦/٢، وأخرجه ابن ماجة في سننه عن ابن مسعود:٤٩/١، بلفظ "من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل ..."، والحاكم في المستدرك:٣٥٩/٣، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٢) "غاية المريد في علم التجويد" لعطية قابل نصر، الناشر: القاهرة، الطبعة: الطبعة السابعة ص ١٦.

(٣) حديث صحيح. متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه ٣٦/٥، ومسلم في صحيحه ١٩١٣/٤.

(٤) "التحديد في معرفة الإتقان والتجويد" لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤ هـ)، المحقق: الدكتور غانم قدوري حمد، الناشر: مكتبة دار الأنبار -بغداد / ساعدت جامعة بغداد على طبعه، الطبعة: الأولى ١٤٠٧ هـ-١٩٨٨ م، ص٨١.

(٥) "شرح محمد بن فؤاد عبد الباقي في حاشية شرح النووي" (١٧/١٦).

وإجراء الأئمة لمعايير التفاضل بين قراء القرآن ليس بدعا منهم حيث يعود تعميده إلى عصر النبوة، فعلم المفاضلات علم موروث، وإن تفرعت بعض المسائل منه وزادت على الأصول فيه، حيث أجرى أئمة.

الفصل الثاني

معايير المفاضلة عند القراء وأئمة القراءة.

المبحث الأول: التفاضل من حيث سلامة الدين والعقل:

المطلب الأول: التفاضل من حيث العدالة:

لقد عرف عن الأئمة النقاد احتياطهم في قبول الروايات، فلم يقبلوها إلا عمن عرفوا صدقه وثبتت عدالته، ويدخل في عدالة المقرئ أيضا معرفته وتحصيله للعلوم الشرعية والعربية، وأن يكون خاليا من أسباب الفسق ومسقطات المروءة، وأسباب الفسق هي ارتكاب الكبائر والإصرار على الصغائر[١].

ولقد عرف العلماء مصطلح العدالة بعدة تعريفات منها:

١- عرفها الخطيب البغدادي نقلاً عن أبي بكر بن الطيب: ((العدالة المطلوبة في صفة الشاهد والمخبر هي العدالة الراجعة إلى استقامة دينه، وسلامته من الفسق، وما يجري مجراه مما اتفق على أنه مبطل العدالة من أفعال الجوارح والقلوب المنهي عنها)). [٢]

٢- وعرفها الحازمي بقوله: ((وصفات العدالة هي اتباع أوامر الله تعالى، والانتهاء عن ارتكاب ما نهى عنه، وتجنب الفواحش المسقطة، وتحري الحق، والتوقي في اللفظ ممايثلم

(١) انظر: تدريب الراوي (١/ ٣٠٠)، كتاب السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٥)، ومنجد المقرئين (ص: ٥٢) مراجع سابقة

(٢) ينظر: "الكفاية في معرفة أصول علم الرواية" (٢٣٣/١) للحافظ الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: ماهر ياسين الفحل، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ

الدين والمروءة ، وليس يكفيه في ذلك اجتناب الكبائر حتى يجتنب الإصرار على الصغائر، فمتى وجدت هذه الصفات كان المتحلي بها عدلا مقبول الشهادة)). [١]

٣- وعرفها ابن حزم بقوله: ((العدالة هي التزام العدل، والعدل هو الالتزام بالفرائض، واجتناب المحارم، والضبط لما روى وأخبر به فقط))[٢].

٤- وعرفها ابن الصلاح بقوله: ((أجمع جماهير أهل الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه وتفصيله أن يكون مسلما، بالغا عاقلا سالما من أسباب الفسق وخوارم المروءة))[٣].

٥- وعرفها شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر بأنها: ((ملكة تحمل الراوي على ملازمة التقوى والمروءة))[٤].

٦- وتبعه على هذا التعريف السخاوي[٥] والتقوى: هي اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة[٦] والمروءة في مجملها: الاحتراز عما يذم عرفا[٧] ومع أن هذا هو أشهر التعريفات ولكنه مع ذلك قد انتقد بعدة انتقادات، نذكر منها قول الصنعاني في أثناء نقله لتعريف الشافعي للعدالة فقال: ((وقد قال الشافعي في العدالة قولا استحسنه كثير من العقلاء من بعده قال لو كان العدل من لم يذنب لم نجد عدلا، ولو كان كل

---

[١] ينظر: " شروط الأئمة الخمسة" (ص٥٥) لإمام أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني (المتوفى: ٥٨٤ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى ١٤٠٥ هـ-١٩٨٤م.

[٢] ينظر: "الإحكام في أصول الأحكام" (١٤٤/١) للإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

[٣] ينظر: " معرفة أنواع علوم الحديث، ويعرف بمقدمة ابن الصلاح" (ص: ١٠٤) للإمام الحافظ عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣ هـ)، الناشر: دار الفكر-سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م.

[٤] ينظر: "نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" (ص:٦٩) لشيخ الإسلام الحافظ الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المصري (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر: مطبعة سفير بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

[٥] ينظر: "فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي" (٥/٢) للحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ)، المحقق: علي حسين علي، الناشر: مكتبة السنة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

[٦] ينظر: "نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر" مرجع سابق ، ص ٦٩.

[٧] ينظر: "شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر" (ص: ٢٤٨) لعلي بن السلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤ هـ)، المحقق: قدم له: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، الناشر: دار الأرقم -لبنان / بيروت.

ذنب لا يمنع من العدالة لم نجد مجروحا ولكن من ترك الكبائر وكانت محاسنه أكثر من مساوئه فهو عدل)) انتهى، قلت: وهذا قوله حسن ويؤيده أن أهل اللغة فسروا العدل بنقيض الجور وليس الجور عبارة عن ملكة راسخة توجب إتيان كل معصية ولا الجائر لغة كل من يأتي معصية بل من غلب جوره على عدله))[١] ومما سبق يمكن أن نستنتج تعريف للعدالة بأنها: ((العدالة هي غلبة خير الراوي على جوره بحيث يظن صدقه، والعدل هو الراوي الذي غلب خيره على شره حتى ظن صدقه))[٢]، القاري العدل: هم من توفرت فيه صفات العدالة، والأصل في ذلك قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:٦]، وقوله –تعالى–: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق:٢]. وقول النبي– صلى الله عليه وسلم –: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)[٣]، وروى الخلال عن ابن عباس مرفوعا: لا تأخذوا العلم إلا ممن تجيزون شهادته[٤] ويقول القاضي عياض: في باب بيان أن الإسناد من الدين، وأن الرواية لا تكون إلا عن

---

(١) ينظر: "نثرات النظر في علم الأثر" (ص: ٧٣) للإمام محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢ هـ)، تحقيق: راشد بن صيري بن أبي علقة، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: "شرح الموقظة للذهبي الجزء الأول (الحديث الصحيح)" (ص: ٣٩) لأبي المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، الناشر: المكتبة الشاملة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ-٢٠١١ م

(٣) "مسند البزار" (٢٤٦/١٦)، يقول محمد الحسيني: "وهو حديث مشهور صححه ابن عبد البر، وروي عن أحمد بن حنبل أنه قال: هو حديث صحيح. قال زين الدين: وفي كتاب كتاب " العلل " للخلال أن أحمد سئل عنه، فقيل له: كأنه كلام موضوع؟ فقال: لا، هو صحيح ". "العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٣٠٨/١).

(٤) "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ-١٩٦٣ م(٥٦٤/١)، وفي " لسان الميزان" لشيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠ هـ/١٩٧١م (٣٢٧/٢) من طريق عن أنس مرفوعا.

قال ابن القيسراني: "لا تأخذوا العلم إلا ممن تجيزون شهادته: فيه حفص بن عمر قاضي حلب يوصف بوضع الحديث، وفيه صالح فال الرازي ضعيف الحديث، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات لا يحل الاحتجاج به". "معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة" لأبي الفضل الشيباني المعروف بابن القيسراني ص ٢٤٧.

الثقات، روى بسنده عن محمد بن سيرين؛ قال: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم[١].

وتثبت عدالة الراوي بطريقين:

الطريق الأول: تثبت عدالة الراوي بأن ينص عليها واحد من العلماء المعروفين بالبحث عن أحوال الرواة بأنه عدل صاحب ديانة، مأمون على ما ينقل، وهذا في غير من استفاضت عدالتهم واشتهروا بالتوثيق والاحتجاج بهم بين أهل العلم، ونقل الزركشي عن أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني أن العدالة المطلوبة في صفة الشاهد والمخبر هي: العدالة الراجعة إلى استقامة دينه وسلامة مذهبه، وسلامته من الفسق وما يجري مجراه مما اتفق على أنه مبطل للعدالة من أفعال الجوارح والقلوب المنهي عنها[٢] والطريقة التي يعتمدها الأئمة في التعديل إنما تقوم على اختبار عدالة الراوي فلا يكتفي بما يظهر من إسلامه وهدايته الظاهرة، يقول الخطيب البغدادي: الطريق إلى معرفة العدل المعلوم عدالته مع إسلامه وحصول أمانته ونزاهته واستقامة طرائقه، لا سبيل إليها إلا باختبار الأحوال، وتتبع الأفعال التي يحصل معها العلم من ناحية غلبة الظن بالعدالة[٣]، يقول: ابن الصلاح: وهذا هو الصحيح في مذهب الشافعي[٤] وقد توسع ابن عبد البر الحافظ في إثبات عدالة الراوي، يقول: كل حامل علم معروف العناية به، ف هو عدل محمول في أمره أبدا على العدالة حتى يتبين جرحه، لقوله ﷺ:(يحمل هذا العلم من كل خلف

(١) "إكمال المعلم بفوائد مسلم" للقاضي عياض (١٢٤/١). والأثر صحيح: أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه"١٤/١"، والترمذي في آخر الشمائل المحمدية"٣٩٧"، والدارمي في سننه [٤٢٤]، والخطيب في الكفاية في علوم الرواية"١٢٢/١".

(٢) "البحر المحيط في أصول الفقه" لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي - سنة الوفاة ٧٩٤ هـ، تحقيق ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م، مكان النشر: لبنان/ بيروت (١٦٨/٦).

(٣) "الكفاية في علم الرواية" للإمام الحافظ المحدث أبي احمد بن علي، المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ، تحقيق وتعليق الدكتور أحمد عمر هاشم أستاذ الحديث بجامعة الازهر وعميد كلية أصول الدين بالزقازيق الناشر دار الكتاب العربي، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥ م ص ٨١.

(٤) "مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح" لعثمان بن الصلاح عبد الرحمن بن موسى بن أبي النصر الشافعي (٥٧٧ هـ-٦٤٣ هـ)، مؤلف «محاسن الاصطلاح»: عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعي، أبو حفص، سراج الدين (المتوفى: ٨٠٥ هـ)، المحقق: د عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) أستاذ الدراسات العليا، كلية الشريعة بفاس، جامعة القرويين، الناشر: دار المعارف. ص ٢٨٨.

عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)[١] يقول ابن الملقن: وفيما قاله اتساع غير مرضي [٢].

الطريق الثاني في ثبوت عدالة الراوي: بالاستفاضة، فمن اشتهرت عدالته بين أهل العلم، وشاع الثناء عليه بها، استغني فيه بذلك عن بينة شاهدة عن عدالته تنصيصا[٣].

يقول القاضي أبو بكر: الاستفاضة أقوى من تعديل واحد واثنين يجوز عليهما الكذب والمحاباة في تعديله[٤] ويقول ابن الملقن (ت: ٨٠٤ هـ): فمن اشتهرت عدالته بين أهل النقل، أو نحوهم من أهل العلم، وشاع الثناء عليهم بها، كفى فيها، وهذا هو الصحيح [٥] ويقول الشوكاني: من طرق التزكية الاستفاضة فيمن اشتهرت عدالته بين أهل العلم وشاع الثناء عليه بالثقة والأمانة فإن ذلك يكفي [٦] ولقد نص أئمة التراجم على ذكر العدول من الرجال، وفاضلو فيما بينهم، تحرزا للرواية، ورغبة في أخذ أعلى الروايات عمن فاق غيره في التقوى والورع.

ومما سبق يتضح أن: صفة العدالة ليست على درجة واحدة بل هي درجات ومدارج؛ نظرا لاعتمادها في الأصل على التزام العبادة والعمل الصالح والتقوى التي هي في الأساس أيضا درجات ومدارج، وعليه ظهر هذا التفاضل بين القراء في العدالة فتري العلماء يصفون القارئ مرة بأنه منقطع القرين في الدين والعبادة ويصفون أخر بأنه

(١) "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" لأبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف -سليم محمد عامر -محمد بشار عواد، الناشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، عام النشر: الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ -٢٠١٧ م (٢٨/١).

(٢) "المقنع في علوم الحديث" لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤ هـ)، المحقق: عبد الله بن يوسف الجديع، الناشر: دار فواز للنشر – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ (٢٤٥/١).

(٣) "التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث" لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م ، ص ٤٨.

(٤)"البحر المحيط في أصول الفقه" للزركشي مرجع سابق (١٦٨/٦).

(٥) "المقنع في علوم الحديث" لابن الملقن مرجع سابق (١/ ٢٤٥).

(٦) " إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول" لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق -كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ-١٩٩٩م (١٧٩/١).

موصوف بالعبادة أو الطاعة فقط، أو أنه أحد العدول وصاحب نوادر، مما ينتبه اليه من تأمله، وبعدما بينا تعريف العدالة وصورها عند القراء لا بد من الوقوف على أهمية مفاضلة العلماء للقراء على أساس العدالة، وذلك على النحو الآتي: ما الفائدة المرجوة من مفاضلة العلماء لقارئ على أخر في العدالة؟ من المعلوم أنه لا يكتفي بقبول رواية القارئ بالعدالة فقط فهي لا تغني في الجرح والتعديل وحدها بدون ذكر الضبط إلا أن تقوي بقرينة أو يدل على إرادة الحكم مورد وما خلا ذلك فهي أوصاف استحسان وكمال.

ومن المعلوم أيضًا أن التفاضل في الضبط إليه المرد والاساس في تقديم رواية أحد القارئين عن الأخر؛ وذلك لان الضبط هو المعيار الأساسي لاختلاف درجة التوثيق والتحسين على خلاف العدالة فلا يشترط فيها إلا وجود أصلها ولا يضر زيادتها ، كذا لا يضر أن تقصر عن التمام إن كان أصلها المعتبر به في قبول القراءة موجود والضبط على خلافها فعلي أساس اختلاف الضبط من راو لأخر جاء اختلاف الحكم كأوثق الناس والثقة الثقة والثقة فقط، وكذلك جاء الصدوق خفيف الضبط، وعليه جاء تقديم رواية أتمهم الضبط منهم على تامه فقط وكذلك تقديم تام الضبط على خفيفه، ولكن هب أن قارئين لم يفضل أحدهما الأخر في الضبط والعلماء فاضلوا بينهم في العدالة فحينها إن اختلفوا بينهم أخر المفضول في العدالة وقدم الفاضل فيها وذلك ما نرجوه بإذن الله– تعالى–.

فمثلاً نجد ابن شنبوذ كان مشهورا معروفا بعبادته وتقواه وعلمه الواسع بالقراءة وحفظة المتين لأوجه القراءات، ولا يخفي على أحد خلافه الشهير مع ابن مجاهد، قرينه في العلم والحفظ ولكن العلماء قد أخروا رواية ابن شنبوذ ولم يقدمه أحد فروايته لا تنبري عن عدالة بلغت تمامها، فكأنه لما اجتهد وجمع كل وجه للقراءة وسافر في البلاد لم يتورع عن أن يضرب بالشاذ من القراءة الحائط بل أخذ يقرأ به في الصلاة، مخالفا بذلك راوية

المتأخرين والمتقدمين في المسألة، وفي رواية أنه استتيب فلم يتب وقد أغلظ للوزير في الخطاب وللقاضي ولابن مجاهد، لما جمعوا له يستتيبونه فنسبهم إلى قلة المعرفة، وأنهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر.[١]ومما لا شك فيه أن القراءة بالشاذ في الصلاة تخالف به الاجماع، والمكابرة والمعاندة في ذلك، ليس مجرد رواية أو تفرد، بل هو ما أشرنا اليه، وحاشا لله أن نطعن في الرجل، فله قدره الواسع وحرمته الوافرة ولعلك تنظر إلى ترجمة ابن الجزري حيث يقول عنه: الإمام أبو الحسن البغدادي شيخ الإقراء بالعراق، أستاذ كبير، أحد من جال في البلاد في طلب القراءات مع الثقة والخير والصلاح والعلم[٢].

المطلب الثاني: التفاضل من حيث الضبط

إن أول ما ينظر إليه من حال القارئ صحة دينه وسلامة معتقده، وسلامته من أسباب الفسق وخوارم المروءة، فإن حسن ذلك نظر بعد إلى مقدار ضبطه.

والضابط أي: الحازم، فلا يكون مغفلا غير يقظ ولا متلقن، لئلا يروي من كتابه الذي تطرق إليه الخلل، وهو لا يشعر، أو من حفظه المختل فيخطئ؛ إذ الضبط ضبطان: ضبط صدر، وضبط كتاب.

فالأول: هو الذي يثبت ما سمعه؛ بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء.

والثاني: هو صونه له عن تطرق الخلل إليه من حين سمع فيه إلى أن يؤدي، يقول ابن الجزري في منجد المقرئين: ويلزمه (أي المقرئ) أيضًا أن يحفظ كتاباً مشتملا على ما يقرئ به من القراءات أصولاً وفرشاً، وإلا داخله الوهم والغلط في كثير، وإن أقرأ بكتاب وهو غير حافظ له، فلا بد أن يكون ذاكراً كيفية تلاوته به حال تلقيه من شيخه،

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" للابن الجزري مرجع سابق (٢/ ٥٥).
(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" للابن الجزري مرجع سابق (٢/ ٥٢).

مستصحبا ذلك، فإن شك في شيء، فلا يستنكف أن يسأل رفيقه، أو غيره ممن قرأ بذلك الكتاب، حتى يتحقق بطريق القطع أو غلبة الظن... [١]، ومنع بعضهم الرواية من الكتاب[٢]، ويعرف ضبطه بموافقة رواياته روايات الثقات المتقنين، ولا تضر مخالفة نادرة[٣]، وهو كما ذكره الإمام ابن الصلاح: أن تعتبر –أي : تقاس–رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا رواياته موافقة ولو من حيث المعنى لرواياتهم أو موافقة لها في الأغلب والمخالفة نادرة، عرفنا حينئذ كونه ضابطًا، وإن وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه ولم نحتج بحديثه [٤] وقد عرف منهج الأئمة القراء في الاهتمام بضبط القارئ، وظهرت العناية بالمفاضلة في هذا الجانب، وسوف نذكر صورا من ذلك على النحو الآتي:

صور من تفاضل القراء في الضبط: تفضيل على النوع الأول: كقول أبي عمرو الداني في الحسن بن سليمان بن الخير أبو علي الأنطاكي **(أحفظ الناس للقراءات)** [٥] ويقول أحمد بن مهران عن سليم الراوي عن حمزة الزيات: وكان سليم أضبط من قرأ عليه وأتقن من أخذ عنه ولم يخالفه في شيء من القرآن [٦] ويقول الهذلي: قرأت على أبي محمد الحسين بن قريع المعروف بالكاتب، قال ابن الحذاء: ولم أر أضبط منه لها على ابن

(١) انظر: تدريب الراوي (١/ ٣٠٠)، كتاب السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٥)، ومنجد المقرئين (ص: ٥٢) مراجع سابقة

(٢) يُنظر: "فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي" (١/ ٢٨) لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ)، المحقق: علي حسين علي، الناشر: مكتبة السنة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

(٣) "المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي" لأبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣ هـ)، المحقق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ ص ٦٣،

وانظر "الخلاصة في معرفة الحديث" للحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، المحقق: أبو عاصم الشوامي الأثري، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع -الرواد للإعلام والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩ م ص ١٠٠.

(٤) "مقدمة ابن الصلاح" مرجع سابق ص ١٠٦.

(٥) يُنظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢١٥/١) للابن الجزري مرجع سابق.

(٦) "المبسوط في القراءات العشر" لأحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر (المتوفى: ٣٨١ هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق، عام النشر: ١٩٨١ م ص ٦٢.

مجاهد على ابن عبدوس وهو ابن فرح على الدوري [١] وكقول الشنبوذي في محمد بن النضر بن مرّ بن الحر المعروف بابن الأخرم ما وجدت شيخًا أحسن منه معرفة بالقراءات ولا أحفظ. [٢]

تفضيل على النوع الثاني: كقول ابن الجزري في علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن عطاس قال: كان إمامًا علامة محققًا مقرئًا مجودًا بصيرًا بالقراءات وعللها إمامًا في النحو واللغة والتفسير والأدب أتقن هذه العلوم اتقانًا بليغًا وليس في عصره من يلحقه فيها[٣] وكمحمد بن إسرائيل بن أبي بكر أبو عبد الله السلمي الدمشقي، المعروف بالقصاع، قال ابن الجزري: أستاذ كبير عارف محرر ناقل محقق، اعتنى بهذا العلم أتم عناية[٤] وكقول الذهبي في محمد بن أبي محمد بن أبي المعالي شيخ صالح عابد مقرئ محقق بصير بالقراءات[٥] ويقول ابن الجزري في علي بن يعقوب يعقوب بن شجاع بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي زهران: بلغني أن الشيخ زين الدين الزواوي كان يعظمه من حيث معرفة الفن ويقدمه على نفسه[٦].

فيتضح مما سبق: مفضولية بعض القراء على بعض نظرا لتفاضلهم في الحفظ والاتقان، وهذا مما لا يخفي على أحد فلو قلنا مثلا في الحديث مالك عن نافع وأيوب عن نافع ومالك وأيوب السختياني الاثنان جبلان عظيمان في الحفظ والعدالة والاتقان، ولكن بعض العلماء قد فضل مالك عن أيوب لما ظهر له من تفضله عليه في شيء من الاتقان

(١) "الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها" ليوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهذلي اليشكري المغربي (المتوفى: ٤٦٥ هـ)، المحقق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، الناشر: مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م ص ٢٤٦.

(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/٢٧٠) للابن الجزري مرجع سابق.

(٣) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٥٦٨) للابن الجزري مرجع سابق.

(٤) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ١٠٠) للابن الجزري مرجع سابق.

(٥) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٢٥٩) للابن الجزري مرجع سابق.

(٦) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٥٨٤) للابن الجزري مرجع سابق.

وملازمة الشيخ لذلك إن خالف أيوب مالك تقدم رواية مالك ولا يمنع كون أيوب من أوثق الناس في نافع أن ترد روايته وذلك لمخالفته من هو أوثق منه.

المطلب الثالث: المفاضلة من حيث التوثيق

إن العدالة والضبط قرينان لا يكتفى بأحدهما عن الآخر، حيث لم يقبل الأئمة قراءة القارئ إلا بتحققهما معا، لذلك في كثير من الأحيان يختصر الأئمة هذين الوصفين بقولهم: ثقة، ويقع وصف الرَّاوي بالثقة على العدل في نفسه، المتقن لما حمله، الضابط لما نقل، وله فهم ومعرفة بالفن[1]، أي: أن كلامه محل قبول واعتبار من حيث سلامة دينه، وضبطه لما قرأ ونقل، فإن كانوا في ذلك سواء قدم الأوثق لمكانة من الفضل والزيادة عند الاختيار أو القبول، وقد استعمل ذلك أئمة التراجم في مصنفاتهم للإشارة إلى عدل الراوي مع قوة ضبطه،ولقد جرى القراء والعلماء ألفاظا تتدل على التوثيق هي على النحو الآتي:

صور من تفاضل القراء من حيث التوثيق: ولقد انزوى لأهل القراءات ونالوا من تلك المراتب ما ناله أهل الحديث.

فأوثق الناس: قاله ابن فرحون في روح أبو الزنباع بن الفرح بن عبد الرحمن القطان القارئ[2] وقاله الحويني في إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير القارئ[3].

(١) . انظر " السلسبيل النقي في تراجم شيوخ البيهقي، لأبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، قدم له: الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، والشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ- ٢٠١١ م، ص ٢٢.

(٢). ينظر: "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" (١/ ٣٦٥) المؤلف: لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩ هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

(٣). ينظر: " نثل النبال بمعجم الرجال الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني" (١/ ٢٤٠)، جمع من كتب: الشيخ أبي إسحاق الحويني، جمعه ورتبه: أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل، الناشر: دار ابن عباس، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ-٢٠١٢ م.

وثقة ثقة: ذكره ابن عيينة فقال: أنبانا عمرو بن دينار وكان ثقة ثقة ثقة.[١] وعمرو بن دينار قارئ مشهوروثقة ثبت، وصف ابن الجزري بها حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات أحد القراء السبعة. (٢)

وثقة متقن: كقول ابن الجزري في أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله أبو الحسين البغدادي المعروف بابن المنادي قال: الإمام المشهور حافظ ثقة متقن محقق ضابط(٣) ، وما نزل عنها من المرتبة الثانية:

كالثقة: وهذا أكثر وصفٌ يوصف به أهل القراءات، كنافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم الليثي المدني أحد القراء السبعة(٤)، وغيره الكثير، ويقول الذهبي: أبو الحارث الرقي محمد بن أحمد نزيل طرسوس، قرأ على أبي شعيب السوسي وهو من جلة أصحابه وأوثقهم[٥]، ويقول ابن الجزري في أبي الزعراء أحد الرواة، وهو من أكبر أصحابه وأجلهم وأضبطهم وأوثقهم[٦].

والحجة: كقول أبي داود في عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو المشهور بدحيم قال: حجة لم يكن في زمنه مثله(٧) ويوصفون بما نزل عنها.

---

(١). ينظر: "الجرح والتعديل" لأبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، (المتوفى: ٣٢٧ هـ) المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، مصورا من الطبعة الهندية، الطبعة: الأولى، ١٩٥٢ م إلى ١٩٥٣ م.

(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢٦٣/١) لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمة، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١ هج. برجستراسر

(٣) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٤٤/١) للابن الجزري مرجع سابق.

(٤) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٣٣٠/٢) للابن الجزري مرجع سابق.

(٥) "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار" لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م، ص ١٤١.

(٦) "غاية النهاية" مرجع سابق (٣٧٤/١).

(٧) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٣٦١/١) للابن الجزري مرجع سابق.

صدوق: فمنه قول ابن الجزري في إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي أبو عبد الله البغدادي نفطويه النحوي ويقال له الماوردي: صاحب التصانيف صدوق. (١)

لا بأس به: كعبد العزيز بن المغيرة سئل عنه أبو حاتم فقال: لا بأس به صدوق (٢)، قول الدارقطني في المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة: لا بأس به(٣) وفائدة ذلك أن الأخبار بنقل العدل الضابط عن مثله إذا اتصل سندها تثبت، وكيفية اعمال هذا الضابط بقبول تفرد رواية العدل الثقة عن مثله، إذا انفرد بشيء تحتمله العربية والرسم واستفاض وتلقته الأمة بالقبول قطع به، من غير اتصاف بشذوذ أو علة قادحة(٤).

يقول ابن الجزري: والعدل الضابط إذا انفرد بشيء تحتمله العربية والرسم واستفاض وتلقي بالقبول قطع به وحصل به العلم، وهذا قاله الأئمة في الحديث المتلقي بالقبول أنه يفيد القطع(٥) وقبول القراءة بسند الآحاد مسألة خاض فيها الأئمة قديما لجهلهم بمنهاج أهل القراءة في الاحتجاج بأخبار الأحاد، وظنا منهم اشتراط التواتر في أفراد الحروف، وقد تصدى لهذا الاعتقاد جماعة من السلف، يقول أبو المعالي الجويني: خبر الواحد: عمدة وحجة عند أهل العلم، موجب للعمل في جميع أبواب الدين، فتثبت به العقائد، تثبت به الأحكام، تثبت به الآداب والفضائل، يثبت به التفسير والقراءة وغير ذلك(٦) ويقول ابن

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٢٥) للابن الجزري مرجع سابق.

(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٣٩٧) للابن الجزري مرجع سابق.

(٣) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٣٠٥) للابن الجزري مرجع سابق.

(٤) "شرح الورقات في أصول الفقه" للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي، المتوفى سنة ٨٦٤ ﻫ، قدم له وحققه وعلق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة، الأستاذ المشارك في الفقه وأصوله، كلية الدعوة وأصول الدين -جامعة القدس، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩ م/ الطبعة الثانية: ١٤٢٠ -٢٠٠٠، صف وتنسيق: حذيفة بن حسام الدين عفانة (١٤/١٢).

(٥) "منجد المقرئين ومرشد الطالبين" لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م ص٢١.

(٦) "شرح الورقات في أصول الفقه" لأبي المعالي الجويني مرجع سابق (١٤/١٢).

الجزري: قال ابن تيمية: وهو مذهب أهل الكلام من الأشعرية وغيرهم كأبي إسحق الإسفراييني وابن فورك. قال: وهو مذهب أهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة، فثبت من ذلك أن خبر الواحد العدل الضابط إذا حفته قرائن يفيد العلم، ونحن ما ندعي التواتر في كل فرد مما انفرد به بعض الرواة أو اختص ببعض الطرق لا يدعي ذلك إلا جاهل، لا يعرف ما التواتر وإنما المقروء به عن القراء العشرة على قسمين: متواتر وصحيح مستفاض متلقى بالقبول والقطع حاصل بهما[١] ويقول حافظ الحكمي: وخبر الواحد مقبول بإجماع من يعتد بقوله من أهل العلم، واشتراط العدد في الرواية قول مرذول عند أهل العلم، بل هو قول المبتدعة من الجهمية والمعتزلة، هم الذين لا يقبلون خبر الواحد، وليس شرطا للصحيح، وليس شرطا للبخاري في صحيحه كما ادعاه بعضهم [٢].

المبحث الثاني: التفاضل من حيث العناية بالعلم وملازمة الإقراء

المطلب الأول: التفاضل من حيث المهارة في أداء القراءة والإجادة فيها:

إن تلقي الروايات وأخذها عمن يحسنها ويجودها، ويعرف ضبط ألفاظها منهج نبوي أرشد إليه الرسول الكريم ﷺ في صدر الإسلام كما تقرر سلفا، ومن ثم جرت عادة القراء في تلقي القرآن وأخذه عمن أحسن الأداء، وكان رأسا في القراءة، وروى الداني بسنده عن أبي بكر بن عياش يقول: ما رأيت أفقه من مغيرة فلزمته، وما رأيت أقرأ من عاصم فقرأت عليه[٣] وقد اعتاد الأئمة في وصف القارئ المتمكن بأوصاف كثيرة، كقولهم متقن(٤)،

(١) "منجد المقرئين" لابن الجزري مرجع سابق ص٢١.

(٢) "شرح اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون" لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧ هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير (٦/٧).

(٣) "جامع البيان" للداني (٢٠١/١).

(٤) ذكر السخاوي رحمه الله أنه لا يدل على العدالة، وإنما يدل على زيادة في الضبط، والمتقن أي المتمكن في القراءة المحيط بها فالظاهر والله أعلم أنه يستلزم أن تكون قراءته قراءة ثقات حتى يسمى بالمتقن الا أن يظهر ما يخالف ذلك، ويثبت عليه خلل في عدالته.

ومجود(١)، وماهر(٢)، بارع(٣)، وحاذق(٤)، وعارف(٥)، وعالم، وكلها ترجع إلى بلوغ القارئ حد التمام في معرفة الحروف وأداء الألفاظ، وقد تكون المفاضلة باستعمال صيغة أفعل التفضيل، وقد تفهم من سياق الكلام، وعند إطلاق صيغة المفاضلة يتعذر التماثل قطعا، ومن صور تفعيل الأئمة النقاد لهذا المنهج كان المراد رتبة الكمال في الحفظ والإتقان، وإن وجد في زمانه من يوصف بالحفظ، فكم من حافظ وغيره أحفظ منه، يقول ابن الجزري في أحمد بن عبد العزيز بن موسى بن عيسى أبو الفتح الخوارزمي اجتمع له حسن الصوت والأداء(٦) ويقول ابن الجزري في علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن عطاس قال: كان إمامًا علامة محققًا مقرئًا مجودًا بصيرًا بالقراءات وعللها إمامًا في النحو واللغة والتفسير والأدب، أتقن هذه العلوم اتقانًا بليغًا وليس في عصره من يلحقه فيها(٧) ومن ذلك قوله في أحمد بن وليد بن هشام بن أبي المفوز أبو عمرو القرطبي، قال: قرأ على أبي الحسن الأنطاكي وجود حرف نافع عليه(٨) قال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب في المبارك بن الحسن بن أحمد بن

(١) جود القارئ: أتى بالتلاوة على وجهها الحق وراعى أحكام التجويد في القرآن "قرأ القرآن مجودا" جود القرآن: رتله ترتيلا.
وجود العمل: أتقنه وأحسن صنعه، ينظر: " معجم اللغة العربية المعاصرة" (١/ ٤١٧) مرجع سابق.
(٢) أي يكون ضابطًا شديد الأخذ واسع الرواية حافظًا للحروف، ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٣) للابن الجزري مرجع سابق.
(٣) البارع: برع براعة فاق نظراءه في أمر فهو بارع فيه، وهو أن يشغل نفسه بالعلم حتى يبرع فيه. ينظر: "المعجم الوسيط" (١/٥٠) لمجمع اللغة العربية مرجع سابق.
كمنتجب بن مصدق بن مكي العفيف أبو الفضل الواسطي قال ابن الجزري فيه: إمام بارع، ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٣١١) للابن الجزري مرجع سابق.
(٤) حذق: الحذق والحذاقة: مهارة في كل شيء. والحذق مصدر حذق وحذق معا في تعلمه فهو حاذق. وحذق القرآن ينظر: "كتاب العين" (٣/ ٤٢) لأبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال..
(٥) عارف: أي عارف بالفن فإن أطلق أراد به فن القراءات، وإن خص فهو بما خصص به، يقول ابن الجزري مثلاً: عارفا بالتفسير أن الشيخ زين الدين الزواوي كان يعظمه من حيث معرفة الفن ويقدمه على نفسه، ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٥٨٤) للابن الجزري مرجع سابق.
(٦) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٦٨) للابن الجزري مرجع سابق.
(٧) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٥٦٨) للابن الجزري مرجع سابق.
(٨) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ١٤٧) للابن الجزري مرجع سابق.

بن علي بن فتحان بن منصور الأستاذ، أبو الكرم الشهرزوري: هو شيخ ثبت يقظ صحيح السماع عارف بالقراءات، حسن الأداء(١).

المطلب الثاني: المفاضلة من حيث المعرفة عنه باجتهاده في طلب الرواية

قال مالك: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين فما أخذت عنهم شيئا، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان به أمينا؛ لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن وقدم علينا ابن شهاب فكنا نزدحم عند بابه (٢)وقال ابن عون: لا تأخذوا العلم إلا ممن شهد له بالطلب (٣)ومن صور اهتمام السلف بالمعرفة بالعلم ما ساقه ابن الجزري في ترجمة يحيى بن موسى بن سعيد المعروف بالميلي: وأخبرني غير واحد من أصحابه الواردين علينا من تلك البلاد إن ذهنه جيد، واعتناؤه بالقراءات تام، وحرصه زائد (٤)ومع ذلك فلا يكتفي باشتهار القارئ بالطلب ويغني ذلك عن الوقوف على تعديله فكل ألفاظ هذا الباب مما لا تفيد في الجرح والتعديل الا بقرينة.

المطلب الثالث: المفاضلة من حيث الملازمة للإقراء

من الأمور التي تميز قارئا عن قارئ وتقدمه على غيره كثرة ملازمته للقرآن حفظا وتلاوة وتدبرا وتعليما، وإقبال الطلاب على درسه، وتفرغه في معظم الوقت لطلابه، مع سمو خلقه، كل هذه من الأمور التي تميزه عن بقية أقرانه ممن قصروا عن ذلك،قال ابن مجاهد: وإنما عولنا على اليزيدي وإن كان سائر أصحاب أبي عمرو أجل منه لأجل أنه

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٤٠) للابن الجزري مرجع سابق.

(٢) ينظر: " توجيه النظر إلى أصول الأثر" (٩٣/١) المؤلف: طاهر بن صالح (أو محمد صالح) ابن أحمد بن موهب، السمعوني الجزائري، ثم الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٨ هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ-١٩٩٥م.

(٣) ينظر: " تحبير الوريقات بشرح الثلاثيات" لأبو وداعة وليد بن صبحي الصعيدي ص ٧.

(٤) "غاية النهاية" مرجع سابق (٣٧٩/٢).

انتصب للرواية عنه، وتجرد لها، ولم يشتغل بغيرها، وهو أضبطهم[١] وقول ابن مجاهد هنا في غاية الأهمية إذ أنه يدلل على شرطية الاجتهاد في طلب الراوية والتصدر للقراءة لقبول رواية القارئ [٢] **ومن صور تفاضلهم في الاجتهاد في ملازمة الإقراء والتصدر له:**قول ابن الجزري في محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون بن إبراهيم، أبو منصور البغدادي الدباس مليح النسخ ملازم الإقراء، وقوله في أحمد بن محمد بن أحمد بن المحروق العماد أبو العباس الواسطي أستاذ نحرير[٣] والنَّحرير: الحاذق العالم العارف بالأمور المجرب لها[٤] كذلك ملازمة الشيخ لوجهه المختار محل اعتبار في الرواية، فلا يخفى على من عالج القراءات صنيع ابن مجاهد في اختياره الأئمة السبعة، ذلك أن من أسس الاختيار عنده أن يكون القارئ ملازماً لوجهه المختار، يقول ابن الجزري: ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم، إنما هو من حيث إنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به، وملازمة له، وميلا إليه، لا غير ذلك. وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به، فآثره على غيره، وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به، وقصد فيه، وأخذ عنه ؛ فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد [٥] كذلك الاعتبار بملازمة شيخ بعينه، وإكثار الرواية عنه، فعند النظر في عدد الثقات من تلاميذ الراوي فإن أئمة القراءة يفضلون الأكثر ملازمة له

(١) نقله عنه ابن الجزري في "غاية النهاية" مرجع سابق (٣٧٧/٢).

(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٣١٧/٢) للابن الجزري مرجع سابق.

(٣) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (/١ ١٠٢) للابن الجزري مرجع سابق.

(٤) ينظر: " الإبانة في اللغة العربية" المؤلف: سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، المحقق: د. عبد الكريم خليفة -د. نصرت عبد الرحمن -د. صلاح جرار -د. محمد حسن عواد -د. جاسر أبو صفية، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة -مسقط -سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩ م.

(٥) "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (٥٢/١) مرجع سابق.

وقراءة عليه مع كونهم جميعاً ثقات، وهذا التفاضل نجده في ألفاظهم التي تبين تميز أحدهم عن البقية، يقول ابن الجزري في ترجمة يحيى بن آدم: "ما رأيت أحداً أعلم ولا أجمع للعلم منه ... وكان من أروى الناس عن أبي بكر بن عياش"(١).

المبحث الثالث

التفاضل من حيث مراعاة المقرئ للشروط التي اشترطها الأئمة في قبول القراءة

المطلب الأول: القراءة بالأثر:

القراءة أساسها التلقي والرواية، واختيار القراء يتصل بسنية القراءة، والقول بالأثر فيها ذلك هو موضع الاختيار عند القراء، فقد كان لعبد الله بن قيس التابعي المشهور اختيار في القراءة(٢) وشيبة كان يقول: انظر ما يقرأ أبو عمرو مما يختار لنفسه، فإنه سيصير للناس إسناداً(٣) وكان الكسائي يتخير القراءات؛ فأخذ من قراءة حمزة بعضها، وترك بعضاً(٤)، كما تجد ليحيى بن سليمان وأبي حاتم السجستاني مثل ذلك(٥) وكذلك أبو علي الفارسي يقول في تخصيص حمزة بإمالة الأشرار والقرار وذات قرار، والقهار والبوار دون ما عداها من الكلم مما كان في قياسها على صورتها: فالقياس في ذلك وغيرها واحد، ولعله اتبع في ذلك أثرا، ترك القياس إليه، أو أحب أن يأخذ بالوجهين، وكره أن يرفض أحدهما ويستعمل الآخر، مع أن كل واحد مثل الآخر في الحسن، والكثرة (٦) والذي أريده هنا في عرض هذه الأمثلة من النصوص التي تشير إلى اختيار القراء في قراءتهم، أن أبين أن

(١) "غاية النهاية" لابن الجزري (٢/٣٦٣-٣٦٤) مرجع سابق.
(٢) طبقات القراء للحافظ الذهبي مرجع سابق (١/٤٤٢).
(٣) المرجع السابق (١/ ٢٩٢).
(٤) المرجع السابق (١/٣٨).
(٥) المرجع السابق (١/ ٣٢٠)
(٦) "الحجة للقراء السبعة" للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧ هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي -بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح رباح -أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث -دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م١/ ٣٧٦).

هذا الاختيار يكون صحيحا إن وافق إثرا مرويا يدعمه ويستند إليه؛ بحيث لا يسبقن إلى الذهن أن القراء غير مقيدين في هذا الاختيار فهما لمعنى لفظ الاختيار على إطلاقه وعمومه، وإلا كانت المسألة فوضى لا نظام لها ولا رابط، كما أن الشيخ طاهر الجزائري في كتابه: التبيان بين قيود الاختيار حيث يقول: الاختيار عند القوم أن يعمد من كان أهلا له إلى القراءات وها هو ذا مكي بن أبي طالب، بعد أن ذكر اختيارات: يعقوب الحضرمي، وعاصم الجحدري، وأبي حاتم السجستاني يقول: وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء: قوة وجهه في العربية، وموافقته للمصحف، واجتماع العامة عليه [١] ثم فسر المراد بالعامة بقوله: والعامة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة، وأهل الكوفة، فذلك عندهم حجة قوية، وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين.

ولذا صحت اختيارات، وبطلت أخرى؛ لعدم استيفائها ما شرط في صحة الاختيار؛ فعيسى بن عمر الثقفي لم يصح اختياره، وكذلك الفراء كما بدا في معاني القرآن، كما عذب ابن مقسم، وقد طعن عليه أنه عمد إلى حروف من القرآن فخالف فيها الإجماع، فقرأها وأقرأها على وجوه ذكر أنها تجوز في اللغة العربية وشاع ذلك عنه، فأنكر عليه فارتفع الأمر إلى السلطان فأحضره واستتابه بحضرة الفقهاء، فأذعن بالتوبة وكتب محضر توبته، وكان اختياره: إن كل قراءة وافقت المصحف ووجها في العربية فالقراءة بها جائزة وإن لم يكن لها سند وهذا اختيار مخالف لما اجمع عليه المقرئون فيأتي بأحرف وروايات يخالف فيها الجمهور. [٢] وعذب ابن شنبوذ على اختياره، كما ذكرنا، فكان يرى جواز القراءة بالشاذ وهو ما خالف رسم المصحف الإمام، قال الذهبي: مع أن الخلاف

(١) "الإبانة عن معاني القراءات" لأبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الناشر: دار نهضة مصر للطبع والنشر (ص: ٨).

(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ١٢٤) للابن الجزري مرجع سابق.

في جواز ذلك معروف بين العلماء قديمًا وحديثًا قال: وما رأينا أحدًا أنكر الإقراء بمثل قراءة يعقوب وأبي جعفر، وإنما أنكر من أنكر القراءة بما ليس بين الدفتين [١]وهذا غير ما كان بنحوه ابن المقسم، فإنه كان يعتمد على المصحف وإن خالف النقل وهذا يعتمد على السند وإن خالف المصحف، واتفقا على موافقة العربية وكموسى بن عيسى بن المنذر أبو عمرو الذي روى حروف الحمصيين التي تخالف المصحف عن أبيه عيسى بن المنذر [٢] له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه، وكذلك محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله اليماني، له قراءة ضعيفة والسند بها فيه نظر، وإن صح فهي قراءة شاذة لخروجها عن المشهور. [٣] وقد خالف بعض هؤلاء النقل كعيسى بن عمر، والفراء، وابن مقسم، وخالف الآخرون الرسم المخالفة المردودة كابن شنبوذ، وموسى بن عيسى بن المنذر ومن هنا لم يكتب لقراءتهم الذيوع والتوثيق مع إمامتهم وأهليتهم للاختيار، كما كتب للأئمة الآخرين الموثقين، ومما يلقي ضوءً على وجوب تقييد الاختيار بالأثر المروي وهذا ما يؤكده قول ابن خالويه في صدر كتابه الحجة: "وبعد، فإني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، فرأيت كلا منهم ذهب في إعراب ما انفرد به من حروفه مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع، وقصد من القياس وجها لا يمنع، فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية، غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار" [٤] لذلك كان أبو عمرو البصري –مثلا–يقول: لولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ، لقرأت كذا، وكذا [٥]. ويقول أبو علي

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٥٤) للابن الجزري مرجع سابق.
(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٣٢٢) للابن الجزري مرجع سابق.
(٣) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ١٦١) للابن الجزري مرجع سابق.
(٤) "الحجة في القراءات السبع" المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب -جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ (ص: ١).
(٥) طبقات القراء مرجع سابق (١/ ٢٩٠).

الأهوازي عن قراءة ابن عامر: كان عبد الله بن عامر إماما عالما ثقة فيما أتاه، حافظا لما رواه، متقنا لما وعاه، عارفا فهما قيما جاء به، صادقا فيما نقله، من أفاضل المسلمين، وخيار التابعين، وأجلة الراوين، لا يتهم في دينه، ولا يشك في يقينه، ولا يرتاب في أمانته، ولا يطعن عليه في روايته، صحيح نقله، فصيح قوله، عاليا في قدره، مصيبا في أمره، مشهورا في علمه، مرجوعا إلى فهمه، **ولم يتعد فيما ذهب إليه الأثر، ولم يقل قولا يخالف فيه الخبر**[1] وقالوا عن حمزة: إنه لم يقرأ حرفا إلا بأثر، كما قالوا عن غيرهم من الأئمة مثل: يحيى بن سلام الذي كان له اختيار في القراءة من طريق الآثار [2]، ومثله القاسم بن سلام الذي وافق اختياره العربية والأثرة [3].

ونستطيع أن نقول: أن ما كان من هذه الاختيارات مبنيا على التلقي والرواية، موافقا للعربية، ورسم المصحف الإمام؛ أخذ به، وإلا رد كما رد اختيار كثير من الأئمة في النحو واللغة وعلوم القرآن. ومن هنا تتضح مفضولية بعض القراء على بعض اعتبارا باعتمادهم على الأثر الصحيح.

المطلب الثاني: القراءة بما يوافق مصحف عثمان ﷺ

ويوضح الإمام الرازي أهمية الموافقة للرسم العثماني ببيان السبب في الاقتصار على الخمسة الأئمة المشهورين فيقول:فإن قيل: فلأي شيء اقتصروا على ما اختاره الأئمة الخمسة، الذين هم: عاصم بن أبي النجود الكوفي، وعبد الله بن عامر الشامي، وعبد الله بن كثير، ونافع بن عبد الرحمن المدني، وأبو عمرو بن العلاء البصري، دون من عداهم من أخلاف التابعين؟ فالجواب: لأن هؤلاء كانوا أسد طريقة في القراءة في الأمصار الخمسة، التي كانت أمهات مدائن الإسلام، ومجمع الصحابة والعلماء من التابعين، بعد

(١) "غاية النهاية" لابن الجزري مرجع سابق (٤٢٥/١).
(٢) طبقات القراء مرجع سابق (١/ ٢٦١).
(٣) طبقات القراء مرجع سابق (٢/ ٣٧٣).

أن انتقل الصحابة إليها وانتشروا فيها، لأجل المغازي والرباط، فلما توجه في كل مصر منها واحد من هؤلاء، وفاق من في مصره في القراءة وشرائط الاختيار، رضيه أهل مصره وائتموا به، فأما أقرانهم فلم تكن حروفهم نقاوة كحروفهم، إما لغرابة، وإما للخروج عن رسم المصحف، وإما لشذوذه، وإما لضعف الأثر، في غير ذلك من الإعلال التي لحقت اختيار من عداهم من أقرانهم في أمصارهم، وذلك على حسب التوفيق والحرمان، فلذلك أخر كثير من حروف الأسلاف، واتخذ في مثل ذلك بحروف الأخلاف[1] وهذا ما يؤكده القاسمي في تفسيره حيث يقول: ثم لما كثر الاختلاف فيما يحتمله الرسم، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل لأحد تلاوته وفاقا لبدعهم. كمن قال من المعتزلة: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء: ١٦٤]، بنصب الهاء–رأى المسلمون أن يجمعوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم، فاختاروا من كل مصر، وجه إليه مصحف، أئمة مشهورين بالثقة والأمانة بالنقل وحسن كمال الدين، وكمال العلم. أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء، واشتهر أمرهم وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم فيما نقلوا، والثقة بهم فيما قرأوا، ولم تخرج قراءاتهم عن خط مصحفهم[2] قال ابن أبي هاشم: (إن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل قال: فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا عن الصحابة، بشرط موافقة الخط، وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لأمر عثمان، الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن، فمن ثم الاختلاف بين قراء الأمصار[3] ولم يكن عثمان ولا غيره من

(١) "معاني الأحرف السبعة" لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد ص ٤٣٦.

(٢) "محاسن التأويل" لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٨ هـ، ص ١٨٤.

(٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ (١/ ٥١)،

الصحابة أن يهملوا شيئا من الحروف التي أنزل عليها القرآن، غير أن الأمر في الأحرف السبعة يختلف عما توهمه بعض الأئمة، فالأحرف السبعة هي الرخصة التي أتيحت للمسلمين في قراءة القرآن على الأوجه التي عرفوها، واللهجات التي اعتادوا الحديث بها، وكان تحول اللسان وتغيير اللهجة بالنسبة للكثير من العرب صعوبة بالغة، وكان حفظه على نصه ولفظه صعوبة أخرى فأتيحت تلك الرخصة وأن الخطأ في مثل هذا يرفع الحرج عن قارئه مالم يخرج به الكلام عن معناه وهو ما أشير إليه في حديث الأحرف السبعة بقوله: ((ما لم تختم آية رحمة بعذاب أو آية عذاب برحمه))[1] وجاء اقتصار ابن مجاهد على القراء السبعة للشرط الذي اتخذه على نفسه هو ألا يروي إلا عمن اشتهر بالضبط والأمانة وطول العمر في ملازمة القراءة، واتفاق الآراء على الأخذ عنه والتلقي منه.

المطلب الثالث: العلم بالعربية

فإن لغة العرب كان ولا تزال لها المكانة الأعلى، والمقام الأسمى؛ ذلك لأن بها يعرف كتاب ربّ العالمين، وسنّة خير الأولين والآخرين وأكرم السابقين واللاحقين، صلى الله عليه وسلم، فاجتهد أولو البصائر والأنفس الزاكيات، والهمم المهذبة العاليات في الاعتناء باللغة العربية، والتمكن من إتقانها بحفظ أشعار العرب وخطبهم ونثرهم، وغير ذلك من أمرهم، وكان هذا الاعتناء في زمن الصحابة الأجلّاء –رضوان الله عليهم– مع فصاحتهم ومعرفتهم في أمور اللغة وأصولها. فلقد كان ابن عباس ﷺ يحفظ من الأشعار والأقوال ما لا يحصى، وما ضرب عمر بن الخطاب ﷺ لأولاده إلا لتفريطهم في حفظ العربية، وأما ثناء الإمام الجليل الشافعي ﷺ وحثه على تعلم العربية في أول رسالته، فهو مقتضى

وانظر: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: المكتبة السلفية، المعرفة -بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣٦/١٩، ٣٧).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (رقم ١٤٧٧)، والطبري في تفسيره (١/ ٢٤).

منصبه وعظم جلالته، ولا حاجة إلى الإطالة في الحث عليها. فالعلماء مجمعون على الدعاء إليها، بل شرّطوها في كتبهم واتفقوا على تعلمها وتعليمها من فروض الكفايات، ومن شروط المقرئ أن يكون عارفا باللغة العربية، وخاصة علم النحو والصرف، فيكون عالما بمبادئ اللغة، ولا يعني ذلك الإحاطة بجميع أوجه اللغة وعلومها المختلفة، ومعرفة المقرئ للغة العربية يعينه على فهم كتاب الله تعالى وتدبره، وإبصار المعاني، وتوجيه القراءات القرآنية، والوقف والابتداء وغيرها من العلوم المترتبة على هذا الفن ، ولا يخفي على أي أحد أهمية هذا العلم في تحصيل علوم القراءات يقول الذهبي: وقال الأصمعي حدثنا نافع حدثنا الأعرج، أنه قرأ: {لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الكهف: ٧٧] قال: لا تأخذها عنه، فإنه لم يكن عالما بالعربية[١].

وهذا كلام يدخل المسألة باب الحل والحرمة، ويحرم على من لم يفهم اللغة والنحو أن يتكلم في القراءات[٢] ويقول الصفاقسي في غيث النفع: وأهم شيء عليه بعد ذلك أي: بعد تعلمه لأمور عقيدته والفقه في دينه، أن يتعلم من النحو والصرف جملة كافية يستعين بها على توجيه القراءات، ويتعلم من التفسير والغريب ما يستعين به على فهم القرآن، ولا تكون همته دنيئة فيقتصر على سماع لفظ القرآن دون فهم معانيه، وهذا أعني علم العربية أحد العلوم السبعة التي هي وسائل لعلم القراءات[٣] ومنه قول ابن الجزري في عبد الله بن منصور بن عمران بن ربيعة المعروف بابن الباقلاني كان ينظم الشعر جيدًا وله يد في العربية[٤] وذكر الحسين بن حمدون بن خالويه الأستاذ أبو عبد الله النحوي الحلبي، قال

(١) معرفة القراء الكبار ص ٤٣.

(٢) الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، المؤلف: د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ

(٣) "غيث النفع في القراءات السبع" لعلي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (المتوفى: ١١١٨ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، المحقق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م (ص: ٧).

(٤) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٤٦٠) للابن الجزري مرجع سابق.

الداني هو عالم بالعربية حافظ للغة[١] وقال محمد بن عبد الله بن محمد بن أشتة أبو بكر الأصبهاني: ثقة عالم بالعربية بصير بالمعاني[٢]، وذكر عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر سيبويه الفارسي ثم البصري فقال: إمام النحو[٣].

وجه التفاضل في معرفة القارئ باللغة العربية :المتصدرون للإقراء العارفون للغة أقسام: فمنهم العالم المعرب لوجوه الإعراب والقراءات، ومنهم المعرب للقراءة غير اللاحن فيها، ومنهم المؤدي لما سمع ممن أخذ عنه ليس عنده إلا الأداء لما تعلم، ومنهم المعرب قراءته، المبصر بالمعاني، العارف باللغات لكن لا علم له بالقراءات واختلافها والآثار التي فيها، هؤلاء هم الأقسام الأربعة الذين قسمهم ابن مجاهد في كتابه: ((السبعة)) بقوله: ((فمن حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات، العارف باللغات ومعاني الكلمات، البصير بعيب القراءات، المنتقد للآثار، فذلك الإمام الذي يفزع إليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين، ومنهم من يعرب ولا يلحن ولا علم له بغير ذلك، فذلك كالأعرابي الذي يقرأ بلغته ولا يقدر على تحويل لسانه فهو مطبوع على كلامه، ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه ليس عنده إلا الأداء لما تعلم، لا يعرف الإعراب ولا غيره، فذلك الحافظ، فلا يلبث أن ينسى إذا طال عهده، فيضيع الإعراب لشدة تشابهه وكثرة فتحه وضمه وكسره في الآية الواحدة؛ لأنه لا يعتمد على علم بالعربية ولا بصر بالمعاني يرجع إليه، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه، وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع، وتشتبه عليه الحروف، فيقرأ بلحن لا يعرفه، وتدعوه الشبهة إلى أن يرويه عن غيره ويبرئ نفسه، وعسى أن يكون عند الناس مصدقا فيحمل ذلك عنه، وقد نسيه

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٢٤٠) للابن الجزري مرجع سابق.
(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ١٨٤) للابن الجزري مرجع سابق.
(٣) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٦٠٢) للابن الجزري مرجع سابق

ووهم فيه، وجسر على لزومه والإصرار عليه، أو يكون قد قرأ على من نسي، وضيع الإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين، فيكون بذلك مبتدعا، وقد رويت في كراهة ذلك وحظره أحاديث[١] ويقول مكي بن أبي طالب القيسي يجب على طالب القرآن أن يتخير لقراءته ونقله وضبطه أهل الديانة والصيانة والفهم في علوم القرآن والنفاذ في علم العربية والتجديد بحكاية ألفاظ القرآن وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم، فإذا اجتمع للمقرئ صحة الدين، والسلامة في النقل، والفهم في علوم القرآن، والنفاذ في علوم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن، كملت حاله ووجبت إمامته[٢].

أثر اللغة في المفاضلة في علم القراءات: لا شك أن للغة أثر كبير في المفاضلة في علم القراءات وهذا ما أكده فعل الإمام الكسائي حين جلس الكسائيّ في حلقة الخليل، قال له رجل من الأعراب: تركت أسدا وتميما، وعندها الفصاحة، وجئت إلى البصرة؟ فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز، ونجد، وتهامة، فخرج الكسائيّ إلى البادية، وأخذ يسأل عن لغتهم، ويكتب عنهم ما يروونه، وبعد ما دون الكسائيّ عن العرب وحفظ عنهم، عاد إلى مجلس الخليل بالبصرة فوجده قد مات، وجلس في موضعه يونس بن حبيب، فجرت بينهما مسائل ومناظرات، ظهر فيها علم الكسائيّ، فأقر له يونس فيها وصدّره موضعه[٣].

(١) كتاب السبعة (ص: ٤٥، ٤٦)، والرعاية لمكي (ص: ٩٠)، ومنجد المقرئين لابن الجزري (ص: ٥٣)، مراجع سابقة والضوابط والإشارات برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر: دار الكتب العلمية -بيروت -١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م (ص: ٣٤).

(٢) "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة" مكي بن أبي طالب القيسي، مؤسسة قرطبة – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م (ص: ٨٩).

(٣) تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها (المعروف بتاريخ بغداد) للحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المتوفى: ٤٦٣ هـ، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م١١/ ٤٠٤،

وينظر: "إنباه الرواة على أنباه النحاة" لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦ هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي -القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٢م. ٢/ ٢٥٧.

وكان هذا سببا في رقيّ جديد للكسائيّ حيث انتقل إلى بغداد، واتصل بالخلفاء العباسيين، وأصبح من طائفة المؤدّبين لأبناء الخلفاء. وكان إلى جانب عمله هذا، يقرئ الناس القرآن الكريم، ويعلمهم النحو واللغة في بغداد.

المبحث الرابع :التفاضل من جهة الوعي الجمعي

المطلب الأول: الاعتداد بانتساب القارئ إلى البلدان الخمسة (المدينة –مكة –الكوفة– الشام –البصرة):

لعل هذا النوع من المفاضلات خارج عن التصور لقلة الحديث حوله فهو مما يثير العجب ابتداء سيما وأن القراء لم يأتوا عليه صراحة، ولا توجد له دراسة تنظيرية عند المحدثين كبعض المعايير، ولكن حقيقة الأمر أن الأئمة الحذاق اعتبروا ذلك في قبول الروايات وعمدوا في الارتكاز عليه، بل يعتبر من أهم الضوابط بما دل عليه الاستقراء، كما أن تعميد أئمة الإقراء للقراء من هذه الأمصار يشهد له، وقد ألف ابن جبير كتابا في القراءات وسماه الخمسة، وألف ابن عامر اليحصبي (ت:١١٨) كتابا في اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق[١]، وغيرهم كثير، وكتب الرواية كلها في القديم والحديث لا يخرج اعتماد القراء فيها عن الأمصار الخمسة، وهذا التوافق بين الأئمة في اختيار القراء من هذه الأمصار أو عمن رحل إليهم وأخذ عنهم دليل على تأصيل هذه المسألة، وتقصد الأئمة لها، ويعود الأصل في تعميد هذه البلدان الخمسة إلى فعل عثمان – رضي الله عنه –، ذلك أنه لما نسخ المصاحف فرقها على هذه البلدان، وأرسل مع كل مصحف معلم ليقرأ الناس بما اتفق عليه من القراءة؛ ليجمع كلمة الأمة على حرف واحد، فكان من المتعين على من تصدى لقبول الروايات وجمع صحيح القراءات أن يتخير الأئمة الثقات

(١) "الفهرست" لأبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨ هـ)، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ مـ (ص: ٥٦).

من هذه الأمصار، يقول مكي: إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيرا في العدد، كثيرا في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة في النقل ... فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفا إماما هذه صفته، وقراءته على مصحف ذلك المصر، فكان أبو عمرو من أهل البصرة، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها، والكسائي من أهل العراق، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من أهل المدينة [١] قال ابن الجزري: رأى المسلمون أن يجمعوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للقيام بالقرآن العظيم فاختاروا من كل مصر وجه إليه مصحف أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل ... ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم ، فمنهم بالمدينة: أبو جعفر وشيبة ونافع، وبمكة: عبد الله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج وابن محيصن، وبالكوفة : يحيى بن وثاب وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي، وبالشام : عبد الله بن عامر وعطية بن قيس الكلابي ويحيى بن الحارث الذماري، وبالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجحدري، ويعقوب الحضرمي[٢] يقول أبو علي الأهوازي: وإنما كانوا من هذه الأمصار الخمسة دون غيرها، لأجل أن عثمان – رضي الله عنه– جعل لكل مصر من هذه الأمصار مصحفاً[٣] يقول الرازي: لكن كل من رضيه أهل مصر دينا وعلما واختيارا، رضيه ذوو الأمصار الأخر، فوافق ذلك رضاء المسلمين كافة، لما كانت تلك الأمصار الخمسة أمهات أمصار المسلمين، وكانت علماؤها رؤساء سائر ذوي العلم في الإسلام[٤]

(١) "الإبانة" لمكي بن أبي طالب، مرجع سابق، ص ٩٨.
(٢) المنجد، مرجع سابق، ص ٢٩.
(٣) "المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز" لأبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥ هـ)، المحقق: طيار آلتي قولاج، الناشر: دار صادر – بيروت، سنة النشر: ١٣٩٥ هـ-١٩٧٥ م ص ١٥٩.
(٤) معاني الأحرف السبعة للرازي مرجع سابق ص ٣٢٦.

فالاعتداد بالقراء من هذه الأمصار الخمسة التي وجهت لها المصاحف، أو أخذها ممن رحل إليهم ضابط عرفي شاع بين أهل القراءة من الأئمة النقاد، ولعل هذه المسألة تحل لنا قضية الخلاف في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الأمصار، فقد تباينت الأقوال وتعددت في عدد تلك المصاحف، فقيل: إنها أربعة، قال الداني: ((وهو الأصح وعليه الأئمة))[١]، وقيل: خمسة، قال السيوطي: ((وهو المشهور))[٢]، وقيل: ستة: وعلى هذا القول بنى ابن عاشر منظومته في اختلاف الحروف[٣]، وقيل: سبعة، وهو قول أبي حاتم السجستاني، كما نقل عنه أبوشامة[٤]، والمهدوي[٥].

وقال مكي: ((ورواته أكثر))[٦]، وقيل: ثمانية، وهو قول جنح إليه المحقق ابن الجزري[٧] الجزري[٧] يقول الدكتور توفيق العبقري: ((ولعله في معرض الترجيح بين هذه المذاهب يبدو أن القول بأن عدد المصاحف كان ستة قول متجه ... هذه الأحرف التي تختلف فيها المصاحف بالزيادة والنقصان إنما يحصل لها ذكر من خلال المصاحف الستة، ولو كانت هناك مصاحف أخر لوجد لها ذكر في معرض الحديث عن اختلاف المصاحف، وهو الأمر الذي لم يكن))[٨] ونقل الزركشي القولين في كتابه البرهان، وعزاهما إلى ابن

(١) "المقنع في رسم مصاحف الأمصار" لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤ هـ) المحقق: محمد الصادق قمحاوي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة (ص: ١٩).

(٢) الإبانة لمكي مرجع سابق (ص: ٦٥)،

وانظر: "الاتقان في علوم القرآن" لأبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المحقق: مركز الدراسات القرآنية، دار النشر: مجمع الملك فهد، البلد: السعودية، الطبعة: الأولى (ص: ٢١٣).

(٣) الاعلان في تكميل مورد الظمآن لأبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، المحقق: حسين سليم أسد الداراني - عبده علي الكوشك الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة: الأولى، (١٤١١ - ١٤١٢ هـ) = (١٩٩٠ م -١٩٩٢ م) (ص: ٤٩).

(٤) الإتقان في علوم القرآن مرجع سابق (ص: ٢١٣).

(٥) السبب الموجب لاختلاف القراءات:١٤٧،

(٦) الابانة مرجع سابق (ص: ٦٥).

(٧) "النشر في القراءات العشر" لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية] (١/ ٧).

وانظر: "جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة" المؤلف: أ. د. علي بن سليمان العبيد، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة (ص: ٤٩).

(٨) الاختلاف بين المصاحف العثمانية بالزيادة والنقصان:٦.

أبي عمرو الداني في المقنع وقال: (أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ، وبعث كل ناحية واحدا: الكوفة والبصرة والشام، وترك واحدا عنده، وقد قيل: إنه جعله سبع نسخ، وزاد: إلى مكة، وإلى اليمن، وإلى البحرين، قال: والأول أصح وعليه الأئمة)[1] ويؤكده هذا ذكر الصحابة الذين أرسل بهم مع المصاحف، فجاء في الأثر بعثة عبد الله بن السائب (ت:٧٠ هـ) مع المصحف المكي، والمغيرة بن أبي شهاب (ت:٩١ هـ)، مع المصحف الشامي، وعامر بن عبد القيس (ت:٢٢ هـ)، مع المصحف البصري، وأبا عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي (ت:٧٤ هـ) مع المصحف الكوفي، وأمر زيد بن ثابت (ت:٤٢ هـ) بالإقراء من المصحف المدني، واختص لنفسه مصحفا، هو ما عرف بمصحف الإمام، فاعتماد الأئمة على هذه المصاحف في القراءة، يترجم فعلياً عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان ﷺ إلى الأقطار، وأن الاختلاف في عددها كان خلطاً في روايات وحكايات نقلتها السير.

المطلب الثاني: الاعتداد بشهرة القارئ

في حين كان اهتمام الأئمة منصرفا نحو تأصيل شروط الرواية، وجعل الشهرة مستندا قويا للقراءة التي صح سندها ووافقت العربية والرسم، فلقد تبوأت شهرة القارئ عندهم ذات المكانة من حيث اعتماد قراءة الإمام من تلك الرواية أو ذاك الطريق، فقد كانوا يستحبون رواية المشاهير، وقد أجرى ذلك كثير من النقاد الحذاق، والأئمة المحققون الأفذاذ، واعتد بهذا الجانب كل من تصدى لنقد الرجال، وإن قصرت عنايتهم عن تدوين أصولها وتحديد ضوابطها، وكيفية إعمالها في النقد أو المفاضلة بين القراء في الطبقة الواحدة حال التساوي، يقول الذهبي: عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار الرازي أبو الفضل

(١) "البرهان في علوم القرآن" لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤ هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ-١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (ثم صورته دار المعرفة، بيروت، لبنان -وبنفس ترقيم الصفحات) (١/ ٣٣٤).

العجلي، المقرئ أحد الأعلام وشيخ الإسلام ... وهو أشهر من الشمس، وأضوأ من القمر، ذو فنون في العلم، مهيب منظور فصيح، حسن الطريقة، كبير الوزن[١] ويقول: منصور بن سرار بن عيسى بن سليم أبو علي الأنصاري الإسكندراني، المالكي المقرئ المؤدب، المعروف بالمسدي ... وكان من حذاق القراء، نظم أرجوزة في القراءات، وسليم بفتح السين، توفي في رجب وله ثمانون سنة، سنة إحدى وخمسين وستمائة، وله شهرة بتلك الديار[٢] ويقول الإمام ابن الجزري في ترجمة: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان الدمشقي أبو عبيدة ... قال الداني: ولم يشتهر في المتصدرين كاشتهار غيره من أصحاب أبيه [٣] ويقول: الحسين بن إبراهيم بن عامر المعروف بابن أبي عجرم أبو عيسى الأنطاكي، قرأ على أحمد بن جبير، وهو من أشهر أصحابه وأضبطهم [٤] ولعل اعتداد الأئمة بالشهرة؛ لأن الشهرة تمنع المرء من الكذب، وذكر هذا السبب الإمام السيوطي لما تعرض لذكر قرائن الترجيح بحال الراوي، يقول: تاسعها: شهرته؛ لأن الشهرة تمنع الشخص من الكذب كما تمنعه من ذلك التقوى [٥] ولك أن ترى أثر شهرة القارئ في تغير مسار توجه طلاب القراءات في البلدان البعيدة، ومن ذلك ما حكاه الإمام ابن الجزري في حق الإمام السخاوي: ((كان شغوفا بالشاطبية معنيا بشهرتها، معتقدا في شأن مؤلفها وناظمها ، ولهذا اعتنى بشرحها فكان أول من شرحها ... فاشتهرت الشاطبية بسببه، وإلا فما كان قبله تعرف الشاطبية ولا تحفظها، وكان أهل مصر أكثر ما يحفظون العنوان لأبي الطائف مع مخالفته لكثير مما تضمنته الشاطبية، وكان أهل العراق لا يحفظون سوى الإرشاد لأبي العز، ولهذا نظمه كثير من الواسطيين والبغداديين ...الخ))

(١) "معرفة القراء الكبار" للذهبي مرجع سابق ص ٢٣٢.
(٢) "معرفة القراء الكبار" للذهبي مرجع سابق ص ٣٦٠.
(٣) "غاية النهاية" لابن الجزري مرجع سابق (١٤٤/١).
(٤) "غاية النهاية" لابن الجزري مرجع سابق (٢٣٧/١).
(٥) "تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي" للسيوطي مرجع سابق (٦٥٢/٢).

.[1]

–وقد تكون شهرة القاري سببا في اشتهار رواية دون باقي الروايات في بلد من البلدان، ومن ذلك ما ساقة الإمام ابن الجزري في ترجمة محمد بن علي البزار: ((ومحمد هذا هو الذي أشهر رواية أبي بكر عن عاصم ببغداد))[2]، وكذلك قوله في سبيع بن المسلم المعروف بابن قيراط: ((وكان يقرئ الناس تلقينا ورواية من المسبح إلى قريب الظهر بالجامع الأموي، وأقعد وكان يحمل إلى الجامع، وأظنه هو الذي أشهر قراءة أبي عمرو تلقينا بدمشق بعدما كانوا يتلقنون لابن عامر والله أعلم))[3] وقد ألف كل من: القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي ت٢٨٢ هـ، وأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت٣١٠ هـ –والأخير من معاصري ابن مجاهد وممن روى عنهم في السبعة–ألف كل منهما كتابا في القراءات المشهورة، منها قراءات هؤلاء السبعة، غير أن مؤلف ابن مجاهد اشتهر في عالم القراء أكثر من غيره؛ لأنه التزم جمع القراءات المتواترة فقط دون الشواذ حتى ولو رويت عن أحد السبعة، كما اشتهر اختياره لشهرة ابن مجاهد نفسه؛ حيث كان حجة في القراءات، ثقة ثبتا، فاق في عصره سائر نظرائه في العلم والفهم والورع وصدق اللهجة، وكان أكثر القراء تلامذة في عصره، كما أنه كان قد أفرد شواذ القراءات بمؤلف خاص[4].

وقد كانت الشهرة خلف قبول الأئمة لانفرادات الرواة، ومن أمثلة هؤلاء القراء:

– أبو عمرو الداني: يوضح ذلك تعليق ابن الجزري على ما رواه الحافظ أبو عمرو الداني بسنده في جامع البيان من تشديد التاء في: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ﴾ [آل

(١) ينظرمنجد المقرئين مرجع سابق :٥٤.

(٢)ينظر غاية النهاية مرجع سابق :٢١٤/٢-٢١٥.

(٣) ينظرغاية النهاية مرجع سابق :٣٠١/١.

(٤) "الأعلام" لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م (٢٦١/١)

عمران: ١٤٣][1]، و﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥] بالواقعة [2] عن أبي الفرج النجاد عن أبي الفتح بن بدهن عن أبي بكر الزينبي عن أبي ربيعة عن البزي عن أصحابه عن ابن كثير[3] فقال: ((ولم أعلم أحدا ذكر هذين الحرفين سوى الداني من هذه الطريق، وأما النجاد فهو من أئمة القراءة المبرزين الضابطين ... وأما أبو الفتح بن بدهن فهو من الشهرة والاتقان بمحل، ولولا ذلك لم يقبل انفراده عن الزينبي))[4] فقد اعتمدوا على الوجه الأكثر شهرة عن القارئ على أشهر الوجوه عن الراوي حال وورود أكثر من وجه [5].

–طاهر بن عرب بن إبراهيم بن أحمد الإمام الفاضل العالم المحقق المدقق المجود المرتل المقرئ الكامل المجيد المفيد أستاذ القراء وصفوة العلماء نخبة المحققين عمدة المقرئين فخر الدين أبو الحسين الأصبهاني أدام الله النفع به ووصل أسباب شهرة علم القرآن بسببه [6] ومن المؤكد أن وراء تلك الشهرة أسباب تعتمد في الأصل على عدالة الراوي وضبطه أولا [7]، ثم اكتسابه لبعض الأوصاف كملازمة الإقراء والتصدر له [8]، أو المعرفة [9]، أو علو السند [10]أو كثرة الترحال في نيل القراءات [11]، وغيرها من الأمور التي تبلغ بالمقرئ حد الاشتهار بين القراء، ومما ينبغي التنبيه إليه أن الشهرة وإن عدت مقياسا معتبرا في تفاضل القراء، ودليلا على رجحان القارئ وتقدمه على الأقران والخلان،

(١) ال عمران آية:١٤٣.
(٢) الواقعة آية:٦٥.
(٣) انظر جامع البيان مرجع سابق :٩٣٣/٢.
(٤)انظر جامع البيان مرجع سابق:٢٣٥/٢.
(٥) قرأ ابن كثير، وإن يكن [١٣٩] بالياء مبتة بالرفع وقرأ ابن عامر وإن تكن بالتاء على التأنيث مبتة بالرفع، وروى الداجوني عن أصحابه عن هشام بالياء والرفع مثل ابن كثير، وهو «٥» غلطقد ذكر ابن الجزري الروايتين عن الداجوني، وصححها-أي التأنيث والتذكير في يكن وقال: إلا أن التذكير أشهر عنه. والله أعلم.
(٦) "غاية النهاية" مرجع سابق (٣٣٩/١).
(٧) انظر على سبيل المثال ترجمة حمد بن نصر الشذائي في غاية النهاية:١٤٤/١.
(٨) انظر على سبيل المثال ترجمة محمد بن عيسى بن حيان المدائني في غاية النهاية:٢٢٤/٢.
(٩) انظر على سبيل المثال ترجمة هبيرة التمار في غاية النهاية:٣٥٣/٢.
(١٠) انظر على سبيل المثال ترجمة الحسن بن رشيق المصري في غاية النهاية:٢١٢/١.
(١١) انظر على سبيل المثال ترجمة أحمد بن محمد الرملي غاية النهاية:٧٧/٢.

–وهي مستندة إلى أصول أصلها الأئمة–فلا تعني بالضرورة عموم الأفضلية على أهل الزمان، إذ هي تحصيل حكم عند الناس فتظل محكومة برأيهم، مقترنة باستحسانهم واستلطافهم، وقد عقد مكي في الإبانة فصلا يجيب فيه عن: العلة التي من أجلها اشتهر هؤلاء السبعة بالقراءة دون من هو فوقهم، فنسبت إليهم السبعة الأحرف مجازا، وصاروا في وقتنا أشهر من غيرهم، ممن هو أعلى درجة منهم، وأجل قدرا؟ [1] وهو طرح في مكانه يؤكد أن تعلق الناس بالرواة إذا كانوا ثقاتا مأمونين يلزم شهرتهم، ويفرض الاحتجاج بخبرهم، بغض الطرف عن مبلغهم من العلم والقدر وحظهم في التمام والكمال، كما أن تعلق الناس بالروايات يلزم الثبوت إن حفته القرائن، والشهرة وحدها لا تسد مسد توثيق الراوي إن لم يرد في حقه تعديل أو توثيق من أحد الأئمة الثقات، إذ هي ليست من مراتب التعديل في شيء بقدر ما توحيه من اشتغال القارئ بالتلقي والرواية واهتمامه بنوع من العلوم أدى إلى اشتهاره.

المطلب الثالث: الاعتداد باجتماع أهل البلد على قارئ بعينه دون غيره

في المطلب السابق كان الكلام عن الشهرة وكيف كان تنصيب الأئمة لها واعتبارها جانب من جوانب النقد، وإن من متلازم الشهرة إجماع أهل البلد على قبول القارئ، فالشهرة وحدها غير كافية إن لم يعضدها تلقي الأمة للقراءة بالقبول، وهو ما يعرف عند أئمة الشأن (بالإجماع) إذ بعد التحقق من عدالته وكمال أهليته وإمامته ينظر حاله مع غيره فيقدم من أجمع أهل بلده عليه، وكان هذا حدا في تقديم إمام على إمام، فلا يقطع بالقراءة بأنها منزلة من عند الله إلا إذا اتفقت عن ذلك الإمام الذي قام بإمامة المصر بالقراءة وأجمع أهل عصره ومن بعدهم على إمامته في ذلك، ومن صوره: يقول محمد بن عبد الله الكسائي: كنت أقرأ برواية عاصم رواية عبد الجبار بن محمد العطار، فلما

(١) الإبانة مرجع سابق :٩٧.

سمعت إجماع الناس على تفضيل قاسم ورأيت ذوي الأسنان وأهل المعارف يقرءون عليه لازمته حتى قرأت عليه وأتقنت قراءته، قال النقار: قرأت عليه أربعين ختمة وسمعت إجماع الناس على تفضيل قاسم في قراءة عاصم، وقال الداني: توفي بعد التسعين ومائتين وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: توفي غداة الجمعة لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين ومائتين [١] ويقول ابن مجاهد: كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه[٢]، ويقول في كتابه السبعة: وعلى قراءة نافع اجتمع الناس بالمدينة العامة منهم والخاصة، ومن أثر اجماع البلد عليه قبول اختياره لدى الأمصار الأخر، يقول الرازي: لكن كل من رضيه أهل مصر دينا وعلما واختيارا، رضيه ذوو الأمصار الأخر، فوافق ذلك رضاء المسلمين كافة، لما كانت تلك الأمصار الخمسة أمهات أمصار المسلمين، وكانت علماؤها رؤساء سائر ذوي العلم في الإسلام.

مما يدل على اعتبار هذا الضابط لدى المتقدمين في التفضيل والتقديم، يقول أبو عمرو الداني: وأما طريق محمد بن عمران عنه: فأخبرت أيضا عن محمد بن الحسن، قال: قرأت على أبي بكر محمد بن عمران الدينوري، وقلت له: قرأتَ على أبي إسحاق عبد الوهاب بن فليح هذه قراءة أهل مكة التي أجمع عليها مشايخهم وفتيانهم من قريش وغيرهم؟ قال: نعم. [٣] كما لا يدل الاجماع على رد ورفض قراءة من عداهم ممن لم يقع على روايته إجماع بلده، يقول الرازي: لكن قبول هؤلاء السبعة لم يدل على رد غيرهم بالإجماع دون أقرانهم [٤] فقد روي عن مجاهد إعجابه بابن محيصن، يقول: ابن محيصن

(١) غاية النهاية مرجع سابق ١٦/٢-١٧.
(٢) المرجع السابق ١٦٧/٢
(٣) "جامع البيان في القراءات السبع" لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) أصل التحقيق: رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة، الناشر: جامعة الشارقة – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م (٣١٨/١)
(٤) معاني الأحرف السبعة ص ٣٢٥.

يبني ويرصص في العربية يمدحه بذلك، يقول: ابن مجاهد من القائل: حدثنا ابن أبي خيثمة قال حدثنا خلف قال حدثنا عبيد بن عقيل عن شبل عن حميد عن مجاهد أنه قال ذلك ولم يجمع أهل مكة على قراءته كما أجمعوا على قراءة ابن كثير، وكان حميد بن قيس أخو عمر بن قيس أيضا بمكة قرأ على مجاهد ولم يخالفه في قراءته، والذي أجمع أهل مكة على قراءته إلى اليوم ابن كثير[١] ومما تجدر الإشارة إليه أنه مع اهتمام الأئمة بشهرة القراءة واستفاضة نقلها فإنا نجد انصرافهم عن القول بالقراءات الأربعة الزائدة عن العشر رغم اشتهارها واستفاضة نقلها[٢] فدل ذلك على أن الشهرة ليست وحدها كافية لتقديم القراءة وتفضيلها، وإنما لابد معها من ضابط آخر وهو تلقي الأئمة المقرئين المحققين المحررين لها بالقبول، وأن القراءات العشر قد ارتضتها الأمة بضابطين: ضابط الشهرة وضابط القبول، وهذان الضابطان صحيحان معتبران في تفضيل القراءات والقراء على بعضهم البعض[٣]، والقراءات الزائدة عن العشر ثابتة بالأسانيد الصحيحة ومشتهرة، ولا يجوز لأحد الطعن فيها أو ردها، وهذه المعايير إنما هي من حيث التفاضل.

المبحث الخامس: التفاضل من حيث أمور فطرية أو مكتسبة في القارئ

المطلب الأول: صفات فطرية:

لقد ذكر العلماء بعض الصفات الفطرية التي يعتمد عليها في التفاضل بين القراء منها:

أولا: الفطنة:أن صفة الفطنة من الصفات اللازم وجودها والواجب اتصافها بمن أمه الناس في القراءات عليهم، فإنما هي تحفظ للعالم هيبته وترعي بين الناس مكانته، وهي من الصفات التي إذ حباها الله لأحد من عباده فقد منّ عليه بها وفضله على كثير من

(١) "كتاب السبعة في القراءات" المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ، ص: ٦٥

(٢) "شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي" د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ:٢٣٩.

(٣) شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل المرجع السابق :٢٣٩.

خلقه، وتبرز مكانة تلك الصفة وأهميتها كونها من الصفات الواجبة لزوما في حق الأنبياء –صلوات الله عليهم–، وهي في حق من دونهم من الصالحين ومن الأئمة المرضين وأعلام هذا الدين من الصحابة والتابعين والأئمة في كل حين، فقد لا نري واحدا منهم والا وقد وُهب هذه الصفة، لذلك قد نجد من العلماء من اشترطها وخصها للقيام بعلم معين فاذا جاءه هذا العلم ممن لم يرها فيه رده وحتى وإن أزعن له بفضله وعلمه وإليك قول أبي حاتم في وصف من يقبل قولة في الرجال يدلل بذلك علي فضيلة هذه الصفة: يكون العالم مع ذلك متيقظا، مرهف الفهم، دقيق الفطنة، مالكا لنفسه، لا يستميله الهوى، ولا يستفزه الغضب. ثم يصفها فيقول: وهذه المرتبة بعيدة المرام عزيزة المنال لم يبلغها إلاَّ الأَفذاذ، وقد كان من أكابر المحدثين وأجلتهم من يتكلم في الرواة فلا يعول عليه، ولا يلتفت إليه، قال الإمام عَلي بن المَديني، وهو من أئمة هذا الشأن أَبو نُعَيم وعفان صدوقان لا أقبل كلامهما في الرجال، هؤلاء لا يدعون أحدًا إلاَّ وقعوا فيه، وأَبو نُعَيم وعفان من الأَجلة، والكلمة المذكورة تدل على كثرة كلامهما في الرجال ومع ذلك لا تكاد تجد في كتب الفن نقل شيء من كلامهما. [1]ويعجب المرء من الجهد الذي بذله العلماء في الكشف عن عدالة الرواة وضبطهم، ويعجب كذلك من متابعة الثقات والتأكد من سلامة روايتهم، ولكن يزداد إعجابه حينما يرى أئمة الشأن قد تابعوا الرواة في صفات أخرى تزيد على صفتي العدالة والضبط، مثل الكياسة والفصاحة، والتي تجعل الراوي يفضل على غيره عند التساوي في الحفظ والضبط، وقد ذكر الله –تعالى– الفطنة في كتابه العزيز في قصة سليمان وداود – عليهما السلام – فقال: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ

[1] ينظر: "مقدمة الجرح والتعديل" لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، المتوفى: ٣٢٧ هـ، المحقق وصاحب المقدمة: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، مصورا من الطبعة الهندية، الطبعة: الأولى، ١٩٥٢ م إلى ١٩٥٣ م، (المقدمة/٢)

وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾[الأنبياء: ٧٨ – ٨١]، وقد ورد تفسير هذه الآية عن ابن مسعود ﷺ قال: كرم قد أنبتت عناقيده، فأفسدته. قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله! قال: وما ذاك؟ قال: تدفع الكرم إلى صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم، فيصيب منها، حتى إذا كان الكرم كما كان، دفعت الكرم إلى صاحبه، ودفعت الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[الأنبياء: ٧٩][(١)] قال الحسنﷺ فحمد سليمان، ولم يلم داود، ولولا ما ذكر الله من أمر هذين، لرأيت أن القضاة هلكوا، فإنه أثنى على هذا بعلمه، وعذر هذا باجتهاده[(٢)].

– وعن أم سلمة –رضي الله عنها–: أن رسول الله ﷺ قال: ((إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا، بقوله: فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها))[(٣)] قال المناوي: ألحن –بفتح الحاء–: الفطانة، أي: أبلغ وأفصح وأعلم في تقرير مقصوده، وأفطن ببيان دليله، وأقدر على البرهنة على دفع دعوى خصمه، بحيث يظن أن الحق معه، فهو كاذب، ويحتمل كونه من اللحن، وهو الصرف

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري» المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، ويليه بالجزء ١١: «صلة تاريخ الطبري» لعريب بن سعد القرطبي [ت ٣٦٩ هـ]، ويليه: «تكملة تاريخ الطبري» لمحمد بن عبد الملك الهمذاني [ت ٥٢١ هـ]، ويليه: «المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين لمحمد بن جرير الطبري» لأحد العلماء، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٩٨٠ م]، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، آعدد الأجزاء: ١١، وصَوَرتْها: دار التراث ببروت وغيرها كثير (١/ ٤٨٦)

(٢) "صحيح البخاري" المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة - بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة (٩/ ٦٧)

(٣) صحيح البخاري ١٨٠/٣ ح(٢٦٨٠) و ٢٥/٩ ح(٦٩٦٧) وص/٦٩ ح(٧١٦٨)، وصحيح مسلم ١٣٣٧/٣ ح(١٧١٣)، وسنن أبي داود ٣٠١/٣ ح(٣٥٨٣)، وسنن الترمذي ت بشار ١٧/٣ ح(١٣٣٩)، وسنن النسائي ٢٣٣/٨ ح(٥٤٠١) وص/٢٤٧ ح(٥٤٢٢)، وسنن ابن ماجه ٧٧٧/٢ ح(٢٣١٧)، ومسند أحمد ط الرسالة ٤٤٥/٤٢ ح(٢٥٦٧٠) و ٩٥/٤٤ ح(٢٦٤٩١)، وموطأ مالك ت عبد الباقي ٧١٩/٢

عن الصواب، أي: يكون أعجز عن الإعراب بحجته من بعض[١] وكان الأنبياء والصالحون والقراء يتمتعون بالفطنة والكياسة.

– قال ابن عباس: (لما شب إسماعيل، تزوج امرأة من جرهم، فجاء إبراهيم فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم، فقالت: نحن بشر، في ضيق وشدة، وشكت إليه. فقال: فإذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له يغير عتبة بابه. فلما جاء فأخبرته، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك) .[٢]

– وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: بينما امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب، فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت. وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود –عليهما السلام –فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما. فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله هو ابنها. فقضى به للصغرى. (رواه مسلم) [٣] قال ابن الجوزي: (أما داود –عليه السلام –فرأى استواءهما في اليد، فقدم الكبرى لأجل السن، وأما سليمان ﷺ فرأى الأمر محتملا، فاستنبط، فأحسن، فكان أحد فطنة من داود، وكلاهما حكم بالاجتهاد، لأنه لو كان داود حكم بالنص، لم يسع سليمان أن يحكم بخلافه، ولو كان ما حكم به نصا، لم يخف على داود، وهذا الحديث يدل على أن الفطنة والفهم موهبة لا بمقدار السن) [٤]

ومن أمثلة الفطنة أيضًا: ما كان من عبد الله بن عمر ﷺ حين قال رسول الله: ﷺ إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا

(١)ينظر: "مقدمة الجرح والتعديل" لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ، (٤/ ٩٦).

(٢)ينظر: "كتاب الأذكياء" المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، الناشر: مكتبة الغزالي. ص: ١٦

(٣) صحيح مسلم ١٣٤٤/٣ ح(١٧٢٠)، وسنن النسائي ٢٣٤/٨ ح(٥٤٠٢)

(٤)ينظر: "كشف المشكل من حديث الصحيحين" المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض (٣/ ٥١٠)

رسول الله؟ قال: فقال: ((هي النخلة. قال: فذكرت ذلك لعمر. قال: لأن تكون قلت: هي النخلة، أحب إلي من كذا وكذا))[١] **ما الحاجة للفطنة وما مفادها.**

١-أنها تدل العبد على حكم الله وسننه الشرعية والكونية، فتبصره بها، كما أنها تدعوه إلى التفكر في آلاء الله، فيزداد خشوعا لله وتعظيما له، وإيمانا ويقينا به.

قال علي: ﷺ (اليقين على أربع شعب: تبصرة الفطنة، وتأويل الحكمة، ومعرفة العبرة، وسنة الأولين، فمن تبصر الفطنة، تأول الحكمة، ومن تأول الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين) [٢].

٢- الفطنة من أسباب السلامة والخروج من المآزق.

٣- أنها تدعو إلى فعل صنائع المعروف، وتقديم الفضل إلى محتاجيه: قال الأبشيهي:(يستدل على عقل الرجل بأمور متعددة منها: ميله إلى محاسن الأخلاق، وإعراضه عن رذائل الأعمال، ورغبته في إسداء صنائع المعروف، وتجنبه ما يكسبه عارا، ويورثه سوء السمعة)[٣] ويقول الرازي: (العقل يدعو إلى الله- تعالى-، والهوى يدعو إلى الشيطان، ثم إن الروح أخرج الفطنة إعانة للعقل فأخرج الشيطان في مقابلة الفطنة الشهوة، فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحركك إلى لذات الدنيا ثم إن الروح أمد الفطنة بالفكرة لتقوى الفطنة بالفكرة فتقف على الحاضر والغائب من المعائب) [٤].

٤- الفطن ينتفع بفطنته، وينتفع بها غيره، ويفيدون منها.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٢ ـ ومسلم ٤/ ٢١٦٤

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٩٢٤/٤ ح(١٥٧٠)، واليقين لابن أبي الدنيا ٣٥/١ ح(١٠) وص/٣٢ ح(٤)، وترتيب الأمالي الخميسية للشجري ٣٤٥/١ ح(١٢١٨) وص/١٠٥ ح(٤٠٣)

(٣) "المستطرف في كل فن مستظرف" لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة (١/ ٢٠).

(٤) " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير" للرازي (٢٢/ ٤٠)

٥–ومن فوائدها وفضائلها –في نفس الوقت–: أنها ميزت هذه الأمة عن سواها، قال ابن الجوزي: «واعلم أن فضيلة هذه الأمة على الأمم المتقدمة وإن كان ذلك باختيار الحق لها وتقديمه إياها إلا أنه جعل لذلك سببا، كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم علمه بما جهلوا، فكذلك جعل لتقديم هذه الأمة سببا هو الفطنة والفهم واليقين وتسليم النفوس» [١].

ولا يعني هذا أن هذه الأمة اختصت بالفطنة دون غيرها من الأمم، وإنما المقصود هو: أن الله حباهم من الفطنة ما يميزون به بين الحق والباطل، والخير والشر، والهداية والضلال، وقال شمس الدين الذهبي في تلميذه ابن الجزري يبين سبب تقديمه وتفضيله: ألفيته فطنا لقنا، ومجيدا للتلاوة متقنا، صنع اللسان مشرفا على ذروة الإحسان، فوجب أن يلحق نظراءه، ويتميز بالتقديم ممن وراءه، وأن أنصب له بالإجازة لواءه، وأدل عليه، وأشير بالأصابع إليه، اقتداء بالسلف الصالح، وتنبيها على المصالح، والغادي مجيب الرائح، فأتحت له أن يقرأ بما قرأ به علي، إذ رأيته أهلا لذلك[٢].

ثانيًا: السمت والوقار:الوقار: هو الرزانة والحلم والعظم[٣]وسمت الرجل: حسنت هيئته ومظهره، هيئة أهل الخير، سكينة ووقار "فلان حسن السمت–عليه سمت الصالحين. [٤] فالوقار هيبة تحيط بالإنسان تدفع الناس لاحترامه وتوقيره، ومن صور ذلك: قول ابن الجزري في الشيخ تقي الدين أبو عبد الله الصائغ محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي إمامًا أستاذًا نقالًا ثقة عدلًا محررًا صابرًا على الإقراء [٥] وقال الذهبي: كان حسن التلاوة، له سمت ووقار في محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الجبار

(١) "التبصرة لابن الجوزي" (١/ ٤٩٥).
(٢) طبقات القراء مرجع سابق ص: ٤٦.
(٣) ينظر: "المعجم الوسيط" (١٠٤٩/٢) ل مجمع اللغة العربية مرجع سابق.
(٤) ينظر: " معجم اللغة العربية المعاصرة" (١١٠٤/٢) مرجع سابق
(٥) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٦٦/٢) للابن الجزري مرجع سابق.

بن توب، وكقول الذهبي في: محمد بن منصور بن إبراهيم بن منصور الحلبي كان ذا جلالة ووقار (١).

ثالثًا: الكياسة والذكاء والظرافة والفهم: والذكي: سريع البديهة قوي العقل. والظرف والظرافة أي : الذكاء، وقد نوه القران الكريم على أهمية الذكاء والفهم في كون الأصل في الاعتبار والتذكر لا يحصل الا لمن أوتي نصيبا وحظا منهم، ومنوط ذلك سعادة الدارين الغرض والهدف الاسمى للإنسان فكأنه استلزم من كون اعتبار الذكاء والنهى تذكر الآيات التي يدفع بالإنسان الي الاعتبار واستلزم الاعتبار بمن أوتي الذكاء والبصيرة ليدل ذلك علي بالغ أهميته قال –تعالى–: (فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ) [الحشر: ٢] وقال –تعالى–: (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) [آل عمران: ٧] وقوله –تعالى–: (لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ) [يوسف: ١١١] ومن صور تلك الصفات: قول ابن الجزري في: عبد الكريم بن غازي بن أحمد أبو نصر الواسطي الضرير يعرف بابن الأغلاقي مقرئ ذكي. (٢) ومن ذلك أيضاً قول صلاح الدين الصفدي في البشتري الخياط: ((كان شيخا حسنا ظريفا مطبوعا كيسا يرجع إلى ظرف وأدب وتمييز)) (٣) والظريف: أي المشتغل بالأدب وعن ابن الأعرابي الظرف في اللسان ومنه حديث عمر ﷺ إذا كان اللص ظريفا لا يقطع، أي: كيسا جيد الكلام يدرأ الحد عن نفسه باحتجاجه(٤).

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢٦٦/٢) للابن الجزري مرجع سابق.
(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٤٠٣/١) للابن الجزري مرجع سابق.
(٣). ينظر: "الوافي بالوفيات" (١٧٤/٦) لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
(٤) ينظر: "المغرب في ترتيب المعرب" المؤلف: ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزى (المتوفى: ٦١٠ هـ) الناشر: دار الكتاب العربي.

رابعًا: حسن العشرة والخلق الحسن: لا شك أن الخلق الحسن له أهمية كبيرة حيث اعتنى المشرع عناية كبيرة ببيان أهمية الخلق الحسن وذلك حين مدح الله – عزوجل – نبيه محمد ﷺ مدحه بالأخلاق الحسنة فقال – تعالى – (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)) [القلم : ٤]. فالله –سبحانه– لم يمدح بحسبه ونسبه وهو أشرف الناس وأرفعهم حسبًا ونسبًا ، ولم يمدحه بالجمال وهو أجمل الناس ، وإنما مدحه بالخلق الحسن ،ومن صور هذه الصفات: قول ابن الجزري في: محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر البصري كان من أعلم أهل زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وأنسابها مع الكرم والمروءة وصدق اللهجة (١) وقول ابن الجزري في: محمد بن عبد العزيز بن أبي عبد الله بن صدقة أبو عبد الله الدمشقي طويل الروح حسن الأخلاق مطبوع العشرة (٢) وقال أبو سعد السمعاني في: عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله أبو محمد البغدادي كان متواضعًا متوددًا حسن القراءة (٣) وقال قالون: كان نافع من أطهر الناس خلقًا (٤).

خامسًا: الفصاحة والبلاغة: الفصيح من الفصاحة وهي البيان وسلامة الألفاظ من الإبهام وسوء التأليف (٥) ومن صور تلك الصفات: قول ابن بشكوال في خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد: كان ثقة صدوقا بليغ الموعظة فصيح اللسان (٦).

وكقول ابن الجزري في أحمد بن موسى الموصلي صالح عارف مجود فصيح. (٧)

---

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ١١٦) للابن الجزري مرجع سابق.
(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ١٧٣) للابن الجزري مرجع سابق.
(٣) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٤٣٤) للابن الجزري مرجع سابق.
(٤) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/٣٣٣) للابن الجزري مرجع سابق.
(٥) ينظر: "المعجم الوسيط" (٢/ ٦٩٠) لـ مجمع اللغة العربية مرجع سابق.
(٦) ينظر: "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار" (٢٦٠) للحافظ الذهبي مرجع سابق.
(٧) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ١٤٣) للابن الجزري مرجع سابق.

كقول الذهبي في: محمد بن نصير بن صالح أبو عبد الله المصري كان عاقلا صحيح الفهم قوي العربية. (١) و قول ابن الجزري في أحمد بن هبة الله بن أحمد بن الكراية الشيخ أبو العباس الجزري: وقفت له على تأليف في قراءة الحسن البصري ذكر عنه عشر روايات فرأيته حسن الكلام. (٢) ويقصد به هنا انطلاقة لسانه وجريانه بطيبٍ من القول وبراعة جمع الكلام وبلاغته.

المطلب الثاني: صفات مكتسبة

وهو التفاضل من حيث الرتبة المكانة، والتي يكتسبها القارئ من خلال تجاربه الحياتية والعلمية ومن صور ذلك: ما قاله الحافظ أبو العلاء: فأما أبو بكر القباب فإنه من أجلة قراء أصبهان ومن العلماء بتفسير القرآن كثير الحديث ثقة نبيل، توفي يوم الأحد خامس عشر ذي القعدة سنة سبعين وثلاثمائة قيل: إنه بلغ المائة، وكان إماما كبيرا متبحرا مبرزا في علوم يتوقد ذكاء وكان أنظر أهل زمانه قال السلفي: ما رأت عيناي مثله ما كان أحد يقدر يتكلم معه لغزارة علمه وبلاغته وحسن إيراده وقوة حجته انتهى، توفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، ومن صور التفاضل بين الرواة التفاضل في المكانة بصورة عامة، وذلك في جانب دينهم وورعهم، أو فضلهم وعلمهم، وقد استخدم الأئمة لذلك ألفاظا متعددة نحو أرفع وأنبل وأعلى وأجل وكان يؤخذ عليه لجلالة قدره.

من أمثلة ذلك: قول ابن الجزري في: محمد بن علي بن محمد بن حسن أبو عبد الله الخبازي، (كان ذا حرمة وافرة عند الدولة لعبادته، وزهده وتهجده) (٣) ويقصد أن

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٢٧٠) للابن الجزري مرجع سابق.
(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ١٤٦) للابن الجزري مرجع سابق.
(٣) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٢٠٧) للابن الجزري مرجع سابق.

المسؤولين في الدولة يحترمونه ويوقرونه لما وجدوا منه من هيبة وحسن لكثرة عبادته.

ومن هذه الصفات: قولهم كبير المحل أو كبير الشأن: أي عظيم الشأن رفيع القدر.

ومن ذلك قول ابن الجزري في: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم الكرماني الكرماني كان إماما كبيرا محققا ثقة كبير المحل(١) وقول ابن الجزري في: محمد بن النضر بن مرّ بن الحر بن حسان بن محمد بن حسان بن الحسين بن النضر متواضعا حسن الأخلاق، كبير الشأن(٢) وكقول ابن الجزري في: مهدي بن علي بن إبراهيم الصبنري كان فيما بلغني من أصحابه رجلا صالحا ذا سيرة جميلة. (٣) **ومن هذه الصفات الاشتهار بالزهد والورع وفضائل الأخلاق: ومن أمثلة ذلك:** يقول القاضي أسد في عبيد الله بن موسى بن المختار (ت:٢١٣ هـ): مشهور بالرواية ثقة في النقل معروف بالقراءة من رواية القرآن والحديث والفقه والفرائض علم في العلم والدراية، وكان مع فضله ومعرفته **ذا زهد وورع** من العلماء العاملين بعلمه (٤).

– يقول ابن بشكوال في ترجمة علي بن خلف الأشبيلي (ت:٤٧٨ هـ): كان من جلة المقرئين وعلمائهم ثقة اشتهر **بالخير والزهد والتقلل والصلاح والتواضع وشهرت إجابة دعوته**، وبالغ اليسع بن حزم في تعظيمه في العلم والعمل (٥).

المبحث السادس: التفاضل من حيث تفردات عالية عند القارئ

المطلب الأول: اتساع الرواية، وتحصيلها بأكثر من طريق:

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٢٩١) للابن الجزري مرجع سابق.
(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٢٧١) للابن الجزري مرجع سابق.
(٣) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٣١٦/٢) للابن الجزري مرجع سابق.
(٤) "غاية النهاية" مرجع سابق (٤٩٣/١-٤٩٤).
(٥) "غاية النهاية" لابن الجزري مرجع سابق (٢٥٧/١).

لم يكن رواة القرآن على درجة واحدة في الرواية، فقد كان منهم المقل والمكثر، ولا شك أن واسع العلم بالرواية الذي رحل في طلبها مقدم على غيره ممن لم يتسع علمه بها.

فمن المعلوم إن سعة الرواية، وكثرة الطرق والأسانيد ميزة يتفضل بها صاحبها عن غيره وذلك واضح جلي في أن الملم بأكثر من طريق هو أولى في التقديم عند التعارض وأقوي للقبول عند الترجيح، فلو جمع قارئ للقران لروايته أكثر من طريق، وعد أكثر من سند وأوسع الرواية فيه وذلك بعدما رحل وسافر الي جمعها ثم حصل واحتاج الناس لمرجح بينه وبين قارئ أخر قد أتانا بطريق واحد لروايته وبسند وحيد لقراءته فكان لابد حينئذ من تقديم الأول لتوفر سبب التفضيل عن الثاني، وسعة الرواية كانت من أهم الأسباب التي دعت وأدت الي اختلاف ألفاظ العلماء في باب الجرح والتعديل والناظر يجد أن تفريق العلماء بين أعلي درجات التوثيق وأقلها قائم على عدة اعتبارات من بينها قوة الحفظ وسعة الرواية، فأعلى مراتب التوثيق، (كأوثق الناس)، و(أحفظ الناس) يصف بها العلماء الحفاظ المتقنون، الذين أكثروا من سماع الحديث وروايته وأما مصطلح الثقة عند أهل الحديث يراد به أدني مراتب التوثيق، وهم غير الحفاظ، ممن لم يبلغوا في الحفظ وسعة الرواية منزلة هؤلاء وأمثالهم. وهذا هو الظاهر من فعل العلماء ومن أقوالهم، فتراهم رضوان الله عليهم قد يقبلون الرواية بتفرد بعض الثقات وحتى وإن خالفوا وقد لا يقبلونها عند تفرد غيرهم ممن قد اشتركوا معهم في وصف الثقة ولكن فضل الأولين عليهم بسعة الرواية وكثرة الطلب والاسانيد، **ومن صور ذلك:**

–الإمام الداني فقد كان نسيج وحده في علوم القراءات، اجتهد في طلب القراءات، وجدّ في عرض الروايات على الشيوخ، ورواية الحروف عنهم في قرطبة ، و بجّانة، وسرقسطة، وغيرها من بلاد الأندلس، ورحل إلى مصر فعرض وروى عن كبار قرائها في ذلك الزمن، الشيء الكثير، حتى غدا أعجوبة العصر في سعة الرواية وكثرتها.

ويحدثنا الداني عن طريقته في الطلب والتحصيل، فيقول:" ما رأيت شيئا قط إلا كتبته، ولا كتبته إلا وحفظته، ولا حفظته فنسيته" فكل هذا يبين لنا سبب تقديم الناس له في المكانة والمشيخة.

–أبو الوليد هشام بن عمار بن نصير بن أبان السلمي، قال عنه محمد عقيلة: الدمشقي قاضيها وخطيبها، وقدم لشهرته بالحديث، خلافا للتيسير، وكان فصيحا، واسع الرواية، وقال الدارقطني: صدوق، صبور، كبير المحل(١) وذُكِرَ أن الواحدي كَانَ واسع الرواية استفرغ شطر عمره فِي التحصيل والسماع، فاجتمع عنده عددا لا يستهان بِهِ مِن الكُتُب المسموعة(٢).

– أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عمير اللخمى: قال عنه السليماني: قاضي الجماعة، من قرطبة رحل إلى إشبيلية وسمع من أبي بكر بن العربي بعد سماعه عنه بقرطبة وأكثر عنه، كان مقرئاً مجوداً محدثاً مكثراً قديم السماع واسع الرواية عاليها ضابطاً لما يحدث به ثقة ثبتاً(٣).

–وقال أبو عمر الداني عن خلف بن إبراهيم بن خاقان أبو القاسم: كان ضابطا لقراءة ورش، متقنا لها، مجودا، مشهورا بالفضل والنسك، واسع الرواية، صادق اللهجة، كتبنا عنه الكثير من القراءات والحديث والفقه(٤).

(١) "الزيادة والإحسان في علوم القرآن" لمحمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (المتوفى: ١١٥٠ هـ)، المحقق: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد على العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم)، الناشر: مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ ٦٤/٣

(٢) أسباب النزول، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق: ماهر الفحل ٢٩/١

(٣) قانون التأويل" للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: محمد السليماني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦ م ص: ١٧٦.

(٤) "جامع البيان في القراءات السبع" لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، الناشر: جامعة الشارقة – الإمارات، (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ٢٨/١

–وقال ابن الجزري عن إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سعيد بن علوان بن كامل قال: وهو آخر المسندين بالديار المصرية.

–وقال ابن الجزري عن محمد بن حسن بن محمد بن يوسف أبو عبد الله الفاسي قال الذهبي: وكان إماما متقنا ذكيا واسع العلم كثير المحفوظ(١).

المطلب الثاني: رحلة القارئ في طلب العلم ورحلة القراء إليه

اشتهر الصحابة والتابعون ومن بعدهم بالرحلة في طلب الحديث، ولشهرتهم بذلك أفرد فيه بعض العلماء كتباً، مثل كتاب "الرحلة في طلب الحديث"، وجاء عن بعض الصحابة أنه سافر من المدينة إلى الشام لسماع حديث واحد ثم رجع، وقد حظي التفسير باهتمام مشابه، فقد يستدعي الوقوف على معنى الآية السفر وقطع المسافات البعيدة، فلا يتردد بعض الصحابة والتابعين في الرحلة طلباً للظفر بالمعنى المراد؛ إدراكاً منهم لأهمية معرفة ذلك (٢) ثم جاء من بعدهم من التابعين فسلكوا طريقهم القويم في الرحلة والترحل لطلب العلم والحديث، ولما بعث عثمان –رضي الله عنه –بالمصاحف إلى الأمصار واختلفت قراءات العرب للقران الكريم انطلق التابعون ومن تبعهم في جمع تلك القراءات وتحصيلها والرحلة إلى طلبها استنانا بفعل الصحابة –رضوان الله عليهم–.

حكم الرحلة في طلب العلم:

– الرحلة لطلب العلم من العبادات المستحبة، والأفعال المستحسنة، وقد استدل العلماء على مشروعيتها بقوله –تعالى–: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة: ١٢٢] فهذه الآية دليل صريح

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ١٢٢) للابن الجزري مرجع سابق.

(٢) "نقد الصحابة والتابعين للتفسير" رسالة أعدها: عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله، إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ زاهر بن عواض الألمعي، أطروحة دكتوراه: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -كلية أصول الدين -قسم القرآن وعلومه، العام الجامعي: ١٤٢٧ -١٤٢٨هـ.

على مشروعية الرحلة في الطلب، وقال تعالي: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾[النساء: ١٠٠]، وقوله –تعالى– : ﴿السَّائِحُونَ﴾[التوبة: ١١٢] يدلل على جواز الرحلة في طلب الدين والدنيا ويقول ابن العربي في تفسير قوله –تعالى–: ﴿لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ﴾ [الكهف:٦٠]: فيه الرحلة في طلب العلم الذي ليس بفرض، وقد رحلت الصحابة فيه وأذن لهم في الترحل في طلب الدنيا فضلا عن الدين(١) وقال السيوطي: في قوله –تعالى–: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: ٦٠] فيها استحباب الرحلة في طلب العلم واستزادة العالم من العلم(٢) فكان العلماء يقولون في القارئ رحال، أو جوال، أو ورحل لعلو الإسناد، ولا نعرف أحدا رحل كرحلته، كما وصف بها أحمد بن علي بن محمد بن يحيى بن الفرج الشيخ أبو نصر الهاشمي الهباري البصري ثم البغدادي فقال: رحال جوّال(٣)، وكانوا يقولون سيار: أي كثير الأسفار.

قال الذهبي في عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الأعلى الشيخ أبو محمد بن الدقوقي هو شيخ دين وقور متواضع كثير الأسفار(٤) وكان زبان بن العلاء بن عمارة بن العريان بن عبد الله أبو عمرو التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة اشتهر بالترحل كثير في طلب القراءات والقراءة على أهل الحجاز والبصرة والكوفة –رحمه الله تعالى–(٥).

(١) "أحكام القرآن" للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ص:١٥٣٠

(٢) "الإكليل في استنباط التنزيل" لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيرت، هـ -١٩٨١ م ص: ١٧١-

(٣) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٨٨/١) للابن الجزري مرجع سابق.

(٤) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٣٦٣) للابن الجزري مرجع سابق.

(٥) ينظر: "الإسناد عند علماء القراءات" المؤلف: د. محمد بن سيدي محمد محمد الأمين الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: العدد ١٢٩ - السنة ٣٧ - ١٤٢٥ هـ ص: ١٧٥

المطلب الثالث: علو الأسناد وقلة الوسائط

لقد اعتنى الأئمة بأسانيد القراءات كغيرها من علوم الديانة، وقد نشأ الاهتمام بهذا في زمن التابعين، فعن ابن سيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم [١]، وقد تميزت هذه الأمة المباركة بالعناية بأسانيد العلوم فحفظ الله بهم الدين.

إن العناية الفائقة بالأسانيد في الرواية أضحت خصيصة من خصائص هذه الأمة، قال ابن أبي حاتم الرازي: لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون أثار الرسل إلا في هذه الأمة، وقال محمد بن حاتم بن المظفر: إن الله –تعالى – قد أكرم هذه الأمة، وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديما وحديثا إسناد موصول، إنما هو صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم [٢] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وعلم الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد – صلى الله عليه وسلم– وجعله سلما إلى الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات، وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات، وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنة، أهل الإسلام والسنة، يفرقون به بين الصحيح والسقيم والمعوج والقويم [٣] وغيرهم من أهل البدع والكفار فإن منقولاتهم يؤثرونها بغير إسناد، وعليها من دينهم الاعتماد، وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل، ولا الحالي من العاطل، وأما هذه الأمة المرحومة، وأصحاب هذه الأمة المعصومة، فإن أهل العلم منهم والدين هم من أمرهم على يقين، فظهر لهم الصدق من

(١) صحيح مسلم ج١ص ١٤، ١٥.

(٢) المديح ورواية الأقران، د موفق بن عبد الله بن عبد القادر الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٦ _السنة ٣٤ _١٤٢٢ هـص١١.

(٣) "مجموع الفتاوى" المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، وساعده: ابنه محمد وفقه الله، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، (٩/١)

المين، كما يظهر الصبح لذي عينين[١]وذكر ابن حزم أن نقل الثقة عن الثقة، حتى يصل إلى النبي ﷺ لم يوجد عند غير المسلمين، وأن المبادئ الأساسية للإسلام، والشريعة المنقولة عن النبي ﷺ وما يتعلق به من الأحكام، كلها ثابت بهذا النوع من النقل [٢]وقال النووي في التقريب: الإسناد خصيصة لهذه الأمة، وسنة بالغة مؤكدة وروى ابن أبي حاتم بسنده عن بهز بن أسد يقول إذا ذكر له الإسناد الصحيح: هذه شهادات العدول المرضيين بعضهم على بعض، وإذا ذكر له الإسناد فيه قال: هذا فيه عهدة، ويقول: لو أن لرجل على رجل عشرة دراهم ثم جحده لم يستطع أخذها منه إلا بشاهدين عدلين، فدين الله أحق أن يؤخذ فيه بالعدول [٣] وقد عرفت أهمية الإسناد عند أئمة القراءة وأعلام الرواية، فقد تواترت عنهم الأخبار، وترافدت الأقوال والآثار، أن الأخبار العارية من الإسناد أخبار بتراء لا قيمة لها، وهو مما اختصت به أمة الإسلام، قال أبو علي الجيائي: ((خص الله هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد، والأنساب، والإعراب))[٤] واعتبره الأئمة رعايته والاهتمام به من الدين، قال عبد الله بن المبارك: ((الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء))[٥].

(١) "شرح باب توحيد الألوهية من فتاوى ابن تيمية" لناصر بن عبد الكريم العلي العقل، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (١/ ٧).
(٢) " اهتمام المحدثين بنقل الحديث" (ص: ١٦٢ - ١٦٣)
(٣) " التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث" المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص: ٨٤
(٤) فوائد أبي بكر النصيبي (ص: ٤٧).
(٥) "مقدمة صحيح مسلم" لمسلم بن الحجاج النيسابوري :٨٧/١،
وينظر: "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي" لأبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، المحقق: د. محمد عجاج الخطيب، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤ ص: ٢٠٩.
وينظر: مقدمة ابن الصلاح مرجع سابق:١٣٠.

ولهذا أصل من الشرع ففي الحديث يقول رسول اللهﷺ((تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم))[١] «وفيه الحث على سماع السنن، وأنه ينبغي للعلماء أن يحدثوا، وأن يسمع منهم من بعدهم، ومن بعدهم يُسمعوه إلى من بعدهم» [٢]

من أجل ذا اعتنى الأئمة بتتبع أسانيد الروايات، وفحصها، وبينوا في مصنفاتهم درجة الإسناد من حيث النزول والعلو والانقطاع والاتصال.

فقد تجاوز الأئمة مرحلة الاطمئنان على سند الرواية إلى تقديم القراءة ذات السند الأعلى المتميز بقلة الوسائط بينهم وبين عهد النبوة: يقول الإمام البقاعي: الاسناد هو أعظم مدارات هذا الفن والمعول عليه فيه الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات [٣].

وللإسناد العالي مزيد مزية، وطلبه والرحلة إليه سنة عن سلف الأمة، قال الإمام أحمد: ((طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف)) [٤] و يقول الإمام السخاوي مبينا سبب هذه الميزة: ((وإنما كان العلو مرغوبا فيه أقرب إلى الصحة وقلة الخطأ؛ لأنه ما من راو من رجال الإسناد إلا والخطأ جائز عليه، فكلما كثرت الوسائط، وطال السند كثرت مظان التجويز، وكلما قلت قل، فإن كان في النزول مزية ليست في العلو كأن يكون رجاله أوثق))[٥]ومن هنا جاء التفضيل بين الروايات وتقديم بعضها على بعض، والذي يمتلك الإسناد العالي ملك شيئا عزيزا، وكان ذلك أدعى لتوجه الطلبة إليه، وازدحامهم عليه.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة ١٠٤/٥ ح(٢٩٤٥)، وصحيح ابن حبان - محققا ٢٦٣/١ ح(٦٢)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ١٧٤/١ ح(٣٢٨)، ومسند الحارث = بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ١٩٤/١ ح(٥٢)، ومسند الروياني ١٧٦/٢ ح(١٠٠٥)، والسنن الكبرى للبيهقي ٤٢٣/١٠ ح(٢١١٨٥)، ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ١٠٩/١ ح(٤٩)، والمعجم الأوسط ١٩/٦ ح(٥٦٦٨)، والمعجم الكبير للطبراني ٧١/٢ ح(١٣٢١)، وجامع بيان العلم وفضله ١٩١/١ ح(٢٠٣)، وترتيب الأمالي الخميسية للشجري ٦٥/١ ح(٢٣٠).

قال الحاكم صحيح واقروه اهـ وسنده جيد

(٢)«شرح صحيح ابن حبان» المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي (٤/ ٣)

(٣) "محاضرات في علوم القرآن" لأبو عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح، آل موسى فرج الناصري التكريتي، الناشر: دار عمار – عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م (ص: ١٣٦).

(٤) مقدمة ابن الصلاح مرجع سابق :١٣٠.

(٥) "الغاية في شرح الهداية في علم الرواية" للحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ)، المحقق: أبو عائش عائش عبد المنعم إبراهيم، الناشر: مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م (٧١/١).

يقول الإمام الذهبي في ترجمة علي بن هبة الله بن سلامة، ((وأنا أتعجب من القراء كيف لم يزدحموا عليه؛ لأنه كان أعلى أهل زمانه إسنادا في القراءات، فلعله كان المانع من جهته) [١]ويقول ابن الجزري متأسيا على موت علي بن هبة الله بن سلامة المعروف بابن الجميزي: وانقطع بموته إسناد عال [٢]وقال في ترجمة أبي منصور الخياط مؤلف كتاب: المهذب في القراءات:((وقرأ القراءات على أبي نصر أحمد بن مسرور وسمع من أبي القاسم بن بشران وأبي بكر بن الأخضر الفقيه وكان يمكنه القراءة على الحمامي والسماع من أبي عمر بن مهدي ولكن علو السند رزق يطعمه الله من يشاء)) [٣]وكثيرا ما يشير أصحاب التراجم إلى أصحاب الأسانيد العالية، وهذا التفضيل جاء إما بصيغة أفعل التفضيل مثاله ما ذكره الامام ابن الجزري في ترجمة أبي طاهر السلفي: ((أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الحافظ أبو طاهر السلفي حافظ الإسلام وأعلى أهل الأرض إسنادا في الحديث والقراءات مع الدين والثقة والعلم)) [٤] أو بعبارات أخرى كقوله: انتهى إليه علو الإسناد، كما ذكر ذلك في ترجمة ابن النفيس أحمد بن سعيد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن سليمان المعروف بابن نفيس أبو العباس الطرابلسي الأصل ثم المصري إمام ثقة كبير انتهى إليه علو الاسناد [٥]، ويقول ابن الجزري في ترجمة علي بن محمد بن علي بن بركات "وانتهت إليه رئاسة الإقراء عامة عمره، لعلو روايته وإمامته في التجويد والإتقان، حدث عن جلة لا يحصون وروى العلم نحوا من ستين سنة)) [٦]ومما يجدر الإشارة إليه أن ما كان يحتاج إليه من الإسناد قد

(١) غاية النهاية لابن الجزري المرجع السابق (١/ ٨٣).
(٢) غاية النهاية المرجع السابق:١/٥٨٣.
(٣) غاية النهاية المرجع السابق :١/٧٤.
(٤) غاية النهاية مرجع سابق :١/١٠٢.
(٥) غاية النهاية مرجع سابق :١/٥٦.
(٦) غاية النهاية:١/٥٧٣-٥٧٤.

قلت الحاجة إليه الآن، بعد أن دونت كتب الرواية، حيث صار مرجع الناس إليها، وبقي لنا اعتبار صحة تلك الكتب إلى من نسبت إليه.

المطلب الرابع: الإحاطة بالقراءات السبع أو العشر

جمع القراءات يدعو إلى أهمية جليلة تفضل المعتني بالجمع وتقدمه على غيره فإنه مما لا شك فيه أن جمع القراءات ينطوي عن تعبير فصيح ومناداة صريحة بإتقان صاحبها وشدة استحضاره واستظهاره بعد طول صحبة ومدارسة ومن ثم يصل بنا إلى الإقرار باجتهاده وإجادته وفضله، وتقديمه، والذي كان عليه السلف أخذ كل ختمة برواية لا يجمعون رواية إلى غيرها إلا أثناء المائة الخامسة فظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة واستقر عليه العمل، ولم يكونوا يسمحون به إلا لمن أفرد القراءات وأتقن طرقها وقرأ لكل قارئ بختمة على حدة بل إذا كان للشيخ روايات قرأوا لكل راو بختمة ثم يجمعون له وهكذا، وتساهل قوم فسمحوا أن يقرأ لكل قارئ من السبعة بختمة سوى نافع وحمزة، فإنهم كانوا يأخذون بختمة لقالون ثم ختمة لورش ثم ختمة لخلف ثم ختمة لخلاد ولا يسمح لأحد بالجمع إلا بعد ذلك، نعم إذا رأوا شخصا أفرد وجمع على شيخ معتبر وأجيز وتأهل وأراد أن يجمع القراءات في ختمة لا يكلفونه الإفراد لعلمهم بوصوله إلى حد المعرفة والإتقان. ثم لهم في الجمع مذهبان:

أحدهما: الجمع بالحرف بأن يشرع في القراءة فإذا مر بكلمة فيها خلف أعادها بمفردها حتى يستوفي ما فيها ثم يقف عليها إن صلحت للوقف وإلا وصلها بآخر وجه حتى ينتهي إلى الوقف. وإن كان الخلف يتعلق بكلمتين كالمد المنفصل وقف على الثانية واستوعب الخلاف وانتقل إلى ما بعدها وهذا مذهب المصريين وهو أوثق في الاستيفاء وأخف على الآخذ لكنه يخرج عن رونق القراءة وحسن التلاوة.

الثاني: الجمع بالوقف بأن يشرع بقراءة من قدمه حتى ينتهي إلى وقف ثم يعود إلى القارئ الذي بعده إلى ذلك الوقف ثم يعود وهكذا حتى يفرغ وهذا مذهب الشاميين وهو أشد استحضارا وأشد استظهارا وأطول زمنا وأجود مكانا[١] **وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله –عن (جمع القراءات السبع) هل هو سنة أم بدعة؟ وهل جمعت على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم –أم لا، وهل لجامعها مزية ثواب على من قرأ برواية [واحدة] أم لا؟** فأجاب –رحمه الله:– الحمد لله، أما نفس معرفة القراءة وحفظها فسنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول. فمعرفة القراءة التي كان النبي ﷺ يقرأ بها، أو أقرهم على القراءة بها، أو يأذن لهم وقد قرأوا بها، سنة. والعارف في القراءات الحافظ لها له مزية على من لم يعرف ذلك ولا يعرف إلا قراءة واحدة، وأما جمعها في الصلاة أو في التلاوة فهو بدعة مكروهة، وأما جمعها لأجل الحفظ والدرس فهو من الاجتهاد الذي فعله طوائف في القراءة[٢] وكان ممن جمع القراءات على عهد الصحابة ﷺ الصحابي الجليل أبي بن كعب فلا تجد طريق للقراءة ولا سند الا هو فيه، وكان سعيد بن جبير ممن جمع قراءات القران الكريم يؤم الناس في شهر رمضان، فروي عنه أنه كان " يقرأ ليلة بقراءة ابن مسعود، وليلة بقراءة زيد بن ثابت، وليلة بقراءة غيره، وهكذا"، وما من شك في أن جمع القراءات يمنح القدرة على التوسع في معرفة معاني القرآن وأسراره. [٣] ويقول ابن جزي عن حفص الدوري[٤]: هو ابن عمر بن العزيز، أبو عمر الأزدي البغدادي النحوي

(١) "الإتقان في علوم القرآن" لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م (٣٥٣/١)

(٢) "مقدمة في أصول التفسير" لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م ص: ٥٣

(٣) "تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م (٢٤١/١)

(٤) "التسهيل لعلوم التنزيل" لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٦ هـ (٥٤/١)

الضرير، إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه، ثقة ثبت كبير ضابط، أول من جمع القراءات، وقرأ بالسبعة وبالشواذ وسمع من ذلك شيئا كثيرا .

المبحث السابع: التفاضل في جانب المعرفة بعلل الروايات والتمييز بين صحيحها وشاذها:

استخدم العلماء عبارات التفاضل بين الرواة في جانب المعرفة بالقراءات؛ وذلك لأن العارف بالقراءات أقدر على تمييز الروايات، ومعرفة طرقها ومخارجها، وهو مقدم على غيره عند أهل القراءة بسبب هذه الميزة، إذ هي رتبة ترفعه من مجرد قارئ عالم بالقراءات إلى ناقد بصير بعلل القراءة وقوادحها، إن القدرة على تمييز صحيح القراءات من غريبها وضعفيها من القدرات التي يمتلكها العالم النحرير، وهي صفة يندر تواجدها في محيط المقرئين، ومتى توفرت في المقرئ زاد وفضل على غيره، وكان بذلك إماما على أهل زمانه لتلك القدرة على نخل الصحيح من السقيم، وقد اشتهر بذلك أئمة كثيرون من أهل القراءة كأبي عبيد، وأبي حاتم السجستاني، وابن جرير الطبري، وابن مجاهد، وأبي عمرو الداني، وابن الجزري، وغيرهم ممن تصدرت أحكامهم كتب الفن، يقول أبو الحسن الرجراجي: وأحق من أخذ العلم عنه، واقتبس منه، واتخذ فيه إماما متبعا، وقدوة مطاعا، من كان معروفا بالعلم والديانة، موصوفا بالثقة والأمانة، مشهورا بحسن الاتباع، وتجنب الابتداع، عارفا بطرق الأخبار، وعلل الآثار، عالما بتصحيح الروايات من سقيمها، بصيرا بذوي الثقة، والضعف من رواتها، صحيح النقل والرواية، مكين المعرفة والدراية، حافظا لدينه بالتقى والورع، صائنا لعلمه بالتنزه عن الطمع، مؤديا لما يلزمه له من حق غير هائب فيه سطوة ذي ولاية، قد زانه أحسن الأعمال، ولم يشنه بالإهمال والإغفال[1].

(١) "مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها، لأبي الحسن علي بن سعيد الرجراجي (المتوفى: بعد ٦٣٣ هـ)، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي -أحمد بن علي، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م (٧١/١).

والقدرة على تمييز الصحيح من السقيم يدرك بمجالسة أئمة الإقراء زمنا، وتلقي الروايات وكثرة السماع منهم، ومدارسة كتبهم، والوقوف على مروياتهم، حتى إذا شذت رواية عرفها، وظهر ما خفي من عللها، فالاحتجاج بها عند من حفظ وسمع وفهم وعرف، يقول البيهقي: وهذا النوع من معرفة صحيح الحديث من سقيمه لا يعرف بعدالة الرواة وجرحهم، وإنما يعرف بكثرة السماع، ومجالسة أهل العلم بالحديث ومذاكرتهم، والنظر في كتبهم، والوقوف على روايتهم حتى إذا شذ منها حديث عرفه[1] وعليه فمقتضى هذه الخلفية العلمية الواسعة المتنوعة المعارف، أن يكون لدى الناقد الذي يتصدى لنقد الروايات رؤية واضحة حول واقع تلك الروايات من جميع الجوانب، ويستطيع استحضار الروايات الواردة مع ملابساتها وما يتعلق بموضوعاتها من أجل مقارنتها ببعض، حتى يتم التمييز بين الثابت المنقول من غيره، فيستطيع معرفة الخطأ والصواب في ضوء الدلائل والملابسات والقرائن الواقعية بعيدا عن التخمين والتجويز والاحتمالات[2] فالإحاطة بالمرويات صنعة مكتسبة، وسعة المعرفة، وكثرة الممارسة تكسبهم روح النقد، حتى يصير لهم ذوق خاص يتمكنون به من تمييز الروايات دون وجود أسباب وعلل ظاهرة[3].

يقول ابن مجاهد: وَأما الْآثَار الَّتِي رويت فِي الْحُرُوف فكالآثار الَّتِي رويت فِي الْأَحْكَام مِنْهَا الْمُجْتَمع عَلَيْهِ السائر الْمَعْرُوف، وَمِنْهَا الْمَتْرُوك الْمَكْرُوه عِنْد النَّاس الْمَعِيب من أَخذ بِهِ وَإِن كَانَ قد روى وَحفظ، وَمِنْهَا مَا توهم فِيهِ من ورَاه فضيع رِوَايَته ونسى سَمَاعه لطول عَهده فَإِذا عرض على أَهله عرفُوا توهمه وردوه على من حمله، وَرُبمَا سَقَطت رِوَايَته لذَلِك بإصراره على لُزُومه وَتَركه الِانْصِرَاف عَنهُ وَلَعَلَّ كثيرا مِمَّن ترك حَدِيثه واتهم فِي رِوَايَته

(١) "معرفة السنن والآثار" للحافظ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي -باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب -دمشق)، دار الوفاء (المنصورة -القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ-١٩٩١م (١٤٤/١).

(٢) ينظر "الشهرة مفهومها وأثرها في النقد في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد"، للدكتور بلخير حدبي، منشور في مجلة الحقيقة العدد ١٨ ص ١٢٢.

(٣) ينظر "الشهرة مفهومها وأثرها في النقد في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد" للدكتور بلخير حدبي، منشور في مجلة الحقيقة العدد ١٨ ص ١٢٢-١٢٣.

كَانَت هَذِه علته، وَإِنَّمَا ينْتَقد ذَلِك أهل الْعلم بالأخبار وَالْحرَام والحلال وَالْأَحْكَام، لَيْسَ انتقاد ذَلِك إِلَى من لَا يعرف الحَدِيث وَلَا يبصر الرِّوَايَة وَالِاخْتِلَاف[1] ويقول: كَذَلِك مَا روى من الْآثَار فِي حُرُوف الْقُرْآن مِنْهَا المعرب السائر الْوَاضِح وَمِنْهَا المعرب الْوَاضِح غير السائر وَمِنْهَا اللُّغَة الشاذة القليلة وَمنها الضَّعِيف الْمَعْنى فِي الْإِعْرَاب غير أَنه قد قرىء بِهِ وَمِنْهَا مَا توهم فِيهِ فغلط بِهِ فَهُوَ لحن غير جَائِز عِنْد من لَا يبصر من الْعَرَبيَّة إِلَّا الْيَسِير وَمِنْهَا اللّحن الْخَفي الَّذِي لَا يعرفهُ إِلَّا الْعَالم النحرير وَبِكُل قد جَاءَت الْآثَار فِي الْقرَاءَات[2] ويقول الحافظ ابن حجر في نقاد الحديث: حذاق النقاد من الحفاظ لكثرة ممارستهم للحديث، ومعرفتهم بالرجال، وأحاديث كل واحد منهم لهم فهم خاص، يفهمون أن هذا الحديث يشبه حديث فلان، ولا يشبه حديث فلان، فيعللون الحديث بذلك، وهذا مما لا يعبر عنه بعبارة تحصره، وإنما يرجع فيه أهله إلى مجرد الفهم والمعرفة التي خصوا بها عن سائر أهل العلم[3] ويقول: وإنما تحمل مثل هذه الأحاديث على تقدير صحتها على معرفة أئمة الحديث الجهابذة النقاد الذين كثرت ممارستهم لكلام النبي ﷺ وكلام غيره، ولحال رواة الأحاديث ونقلة الأخبار، ومعرفتهم بصدقهم وكذبهم وحفظهم وضبطهم، فإن هؤلاء لهم نقد خاص في الحديث يختصون بمعرفته ... لا يمكن أن يعبر عن سبب معرفته، ولا يقيم عليه دليلا لغيره[4] فربما يستنكر هؤلاء الأئمة الروايات ولا يذكرون عللها، حتى تظهر فيما بعد، وربما يعللونه بشيء غير ظاهر ولا منضبط في الجملة للنكارة الواقعة في الرواية أو السند، ولكنهم يرونه كافيا في تعليل الرواية، إلى غير ذلك

(١) السبعة في القراءات ص ٤٨.

(٢)السبعة في القراءات ص ٤٨.

(٣) "شرح علل الترمذي" لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ)، المحقق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، الناشر: مكتبة المنار -الزرقاء – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م(٨٦١/٢).

(٤) "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم" لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط -إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م (١٠٢/٢).

من الملابسات التي تحتف بالروايات أثناء تداول الرواة لها لا يعلمها إلا العالم المتيقظ، العارف بأصول الرواية[١] يقول عبد الرحمن بن مهدي: معرفة علل الحديث إلهام، لو قلت للعالم بعلل الحديث: من أين قلت هذا؟ لم يكن له حجة، وكم من شخص لا يهتدي لذلك، وقيل له–أيضا–: إنك تقول للشيء:هذا صحيح، وهذا لم يثبت، فعمن تقول ذلك؟ فقال: أرأيت لو أتيت الناقد فأريته دراهمك، فقال: هذا جيد، وهذا بهرج، أكنت تسأل عن ذلك، أو تسلم له الأمر؟! قال: بل أسلم له الأمر، قال: فهذا كذلك لطول المجالسة والمناظرة والخبرة [٢] وسئل أبو زرعة: ما الحجة في تعليلكم الحديث؟ فقال: الحجة أن تسألني عن حديث به علة فأذكر علته، ثم تقصد ابن وارة: يعني محمد بن مسلم بن وارة، وتسأله عنه فيذكر علته، ثم تقصد أبا حاتم، فيعلله، ثم تميز كلامنا على ذلك الحديث، فإن وجدت بيننا خلافا فاعلم أن كلا منا تكلم على مراده، وإن وجدت الكلمة متفقة، فاعلم حقيقة هذا العلم، ففعل الرجل ذلك، فاتفقت كلمتهم، فقال: أشهد أن هذا العلم إلهام[٣] وهو فن خفي على كثير من علماء القراءة، ولا يهتدي إليه إلا الجهابذة من النقاد، وهم مختلفون في ذلك بحسب مراتبهم، وسعة علمهم بالرواية.

يقول: كثيرا ما كان أبو حاتم وأبو زرعة يتذاكران في علل الحديث. قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: جرى بيني وبين أبي زرعة يوما تمييز الحديث ومعرفته فجعل يذكر أحاديث ويذكر عللها، وكذلك كنت أذكر أحاديث خطأ وعللها وخطأ الشيوخ فقال لي: يا أبا حاتم قل من يفهم هذا، ما أعز هذا. إذا رفعت هذا من واحد واثنين فما أقل من تجد من يحسن هذا، وربما أشك في شيء أو يتخالجني شيء في حديث فإلى أن ألتقي معك

(١) ينظر "الشهرة مفهومها وأثرها في النقد في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد" للدكتور بلخير حدبي، منشور في مجلة الحقيقة العدد ١٨ ص ١٢٣.

(٢) " شرح نخبة الفكر" مؤلف الأصل: ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير(٣٥/٧).

(٣) "العلل ومعرفة الرجال" لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ)، المحقق: وصي الله بن محمد عباس، الناشر: دار الخاني، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ-٢٠١ م (٣٥/١).

لا أجد من يشفيني منه. قال أبي: وكذلك كان أمري[١] وقد يكون تعليل الرواية داخلاً عليها من جهة الإسناد، والطريق إلى معرفة ذلك: جمع طرق القراءة، والنظر في اختلاف رواته، وفي ضبطهم وإتقانهم، فيقع في نفس العالم العارف بهذا الشأن أن الرواية معلولة أو ضعيفة، وقد تقع له بالمقارنة بين الروايات قرائن تقدح في صحة الرواية، وأكثر ما تكون العلل في أسانيد الرواية فتقدح في الإسناد والقراءة معا، وقد تقدح في الإسناد وحده، إذا كانت القراءة مروية بإسناد آخر صحيح، وتمييز الصحيح من السقيم من الملكات التي يستحق بها القارئ لقب إمام في العلم، ولا يكون إماما في فنه إلا بإتقانه هذه الصنعة التي لا يدركها المرء إلا بعد طول ممارسة ومجالسة لأهل العلم، قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ): لا يجوز أن يكون الرجل إماما حتى يتعلم ما يصح مما لا يصح، وحتى لا يحتج بكل شيء، وحتى يعلم مخارج العلم. وقال الإمام مسلم في صحيحه: واعلم وفقك الله –تعالى–، أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها، وثقات الناقلين لها من المتهمين ألا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه، والستارة في ناقليه، وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهمة والمعاندين من أهل البدع[٢]ومن صور ذلك عند القراء، يقول ابن الجزري: طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك أبو الحسن الحلبي، نزيل مصر، أستاذ عارف وثقة ضابط وحجة محرر، شيخ الداني، ومؤلف التذكرة في القراءات الثمان[٣] ويقول ابن الجزري في

(١) " الجرح والتعديل" المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن – الهند، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢ م (٣٥٦/١)

(٢) من هدي السلف في طلب العلم للشيخ محمد الزهراني مرجع سابق ص ٨

(٣) "غاية النهاية" لابن الجزري مرجع سابق١ (٣٣٩/١).

الحسن بن عبد الله بن ويحيان الشيخ أبو علي الراشدي التلمساني: كان عارفًا بالقصيد بصيرًا بالأسانيد (١).

المبحث الثامن: التفاضل من حيث الإحاطة بالعلوم الأخرى المساندة

مما يتفاضل به الرواة عن بعضهم الإحاطة بالعلوم الأخرى المتعلقة بعلم الرواية كالفقه، واللغة والعناية بالحديث.

فلا شك إن المقرئ الفقيه مقدم عند أئمة القراءة على المقرئ غير الفقيه؛ وذلك لأثر فقه الراوي على مروياته، فلا تجد فيما يرويه معنى يخرج عن أحكام الشريعة ومقاصدها.

فاشتراط بعض العلماء في خبر العدل شروطا يخالفه فيها غيره كاشتراط بعضهم أن يكون الراوي فقيها إذا خالف ما رواه القياس(٢) يقول عبد الله التركي محقق كتاب : الواضح في أصول الفقه : العلماء يفرقون بين الخبر الذي يرويه العدل الضابط المعروف بالفقه والرأي والاجتهاد، وبين الخبر الذي يرويه المعروف بالعدالة وحسن الضبط والحفظ، ولكنه قليل الفقه، فإن كان الخبر من النوع الذي يخالف القياس؛ كأن يكون الراوي أحد الخلفاء الراشدين، أو العبادلة، أو زيد ابن ثابت، أو معاذ بن جبل، وغيرهم من المشهورين بالفقه من الصحابة – رضي الله عنهم–، فإن خبرهم حجة، ويبتنى عليه وجوب العمل، سواء أكان الخبر موافقا للقياس، أم مخالفا، فإن كان موافقا للقياس، تأيد به، وإن كان مخالفا للقياس، يترك القياس، ويعمل بالخبر، وإن كان الخبر من النوع الثاني، فما وافق القياس من رواية الثقة غير الفقيه، فهو معمول به، وما خالف القياس؛ فإن تلقته الأمة

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٢١٨) للابن الجزري مرجع سابق.

(٢) الصواعق المرسلة مرجع سابق (٥٥٩/٢).

بالقبول، فهو معمول به، وإلا فالقياس الصحيح شرعا مقدم على روايته [١]وجرياً على ذلك قدم القراء الذين لديهم إلمام بالفقه على من اقتصر على علم القراءة.

ومن صور مفاضلة العلماء لأهل القراءات الملمين بالفقه والأصول والفرائض والإفتاء:

يقول أبو حاتم السجستاني في ترجمة يعقوب الحضرمي: هو أعلم من رأيت بالحروف... وأروى الناس لحروف القرآن ولحديث الفقهاء[٢] وقال ابن الجزري في إبراهيم بن أحمد بن عيسى الإمام أبو اسحاق الإشبيلي المقرئ النحوي الفقيه الفرضي[٣] ومنه قوله في عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل بن عثمان بن يوسف بن حسين بن حفص أبو القاسم الصفراوي، كان إماما كبيرًا مفتيًا انتهت إليه رئاسة العلم ببلده[٤] وقال: إسماعيل بن محمد بن علي بن عبد الله بن هاني الأندلسي الغرناطي شيخنا الإمام العلامة قاضي القضاة شرف الدين برز في النحو والفقه والفرائض[٥].

ما يدل على المشاركة في التفسير وعلوم القران : ومما لا شك فيه كون الرواى ممن لهم إحاطة بعلم التفسير يفضل عن ذلك الذي لا إحاطة له به فإن الوقوف علي علم التفسير من الأهمية بمكان حيث يتوصل به القارئ الي فهم معني الآيات التي وردت من أوجه مختلفة وجاءت من طرق مفترقة، ومنه قول ابن الجزري في عبد الله بن عطية بن عبد الله بن حبيب أبو محمد الدمشقي مقرئ مفسر [٦] وقوله في محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن العباس بن ميمون، أبو الفرج الشنبوذي الشطوي: أستاذ من أئمة

(١) انظر: "الفصول في الأصول" أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية: الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م ٣/ ١٢٧ -١٤٢، وانظر: "أصول السرخسي" لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣ هـ)، الناشر: دار المعرفة -بيروت ١/ ٣٣٨ -٣٤١. حاشية الواضح في أصول الفقه لأبي الوفاء الظفري.

(٢) "غاية النهاية" مرجع سابق (٣٧٩/١).

(٣) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٨) للابن الجزري مرجع سابق.

(٤) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٣٧٣) للابن الجزري مرجع سابق.

(٥) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ١٦٨) للابن الجزري مرجع سابق.

(٦) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٤٣٣) للابن الجزري مرجع سابق.

هذا الشأن، رحل ولقي الشيوخ وأكثر وتبحر في التفسير (١) وقال الداني في محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين: كان حسن التصنيف في علوم القرآن (٢) **ما يدل على المشاركة في الحديث وعلومه والعلل والتخريج وغيرها** اعتناؤه بالحديث واهتمامه به،لأن العالم به يتمكن من التحفظ عن مواقع الزلل مما لا يتمكن منه غيره. يقول أبو حاتم السجستاني في ترجمة يعقوب الحضرمي: "هو أعلم من رأيت بالحروف... وأروى الناس لحروف القرآن ولحديث الفقهاء"(٣) يقول فيه الداني: "وأئتم بيعقوب في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو فهم أو أكثرهم على مذهبه، قال وقد سمعت طاهر بن غلبون يقول إمام الجامع بالبصرة لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب"، قال ابن الجزري: "وعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم أبو الفضل الشافعي، انتهى إليه التحقيق والرواية، برع في الحديث متنا وأسنادًا (٤) وقال في الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأستاذ أبو علي الأهوازي صاحب المؤلفات شيخ القراء في عصره وأعلى من بقي في الدنيا إسناد إمام كبير محدث (٥) وقال ابن الجزري: أحمد بن بن محمد بن عبد الله أبو العباس الظاهري الحلبي الحافظ نزيل القاهرة، قرأ على أبي عبد الله الفاسي الروايات ثم اشتغل بالحديث فكان فيه إمام زمانه لا سيما في التخريج ومعرفة

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٥٠) للابن الجزري مرجع سابق.
(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ١٢٤) للابن الجزري مرجع سابق.
(٣) ينظر: " غاية النهاية (٣٨٧/١).
(٤) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٣٨٢) للابن الجزري مرجع سابق.
(٥) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٢٢٠) للابن الجزري مرجع سابق.

الطرق [١] **ما يدل عل المشاركة في اللغة والمعاني والبراعة في النحو الأدب، ونظم الشعر**، منه قول ابن الجزري في شيبان بن معاوية أبو معاوية: النحوي المؤدب. [٢] النحوي: المشتغل بالنحو والمؤدب لقب كان يلقب به من يختار لتربية الناشئ وتعليمه وفي الحديث: "لأن يؤدب الرجل ولده" [٣] وقال ابن الجزري: النضر بن شميل بن خرشنة، أبو الحسن المازني البصري النحوي اللغوي [٤] ومنه قول ابن الجزري: كان ينظم الشعر جيدًا وله يد في العربي قاله في عبد الله بن منصور بن عمران بن ربيعة المعروف بابن الباقلاني [٥] وقال: محمد بن عبد الله بن محمد بن أشتة أبو بكر الأصبهاني ثقة عالم بالعربية بصير بالمعاني [٦] وذكر عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر سيبويه الفارسي ثم البصري فقال: إمام النحو [٧] وذكر الحسين بن حمدون بن خالويه الأستاذ أبو عبد الله النحوي الحلبي، قال الداني هو عالم بالعربية حافظ للغة [٨] [٨] **ما يدل على المشاركة في النسخ والكتابة والمقابلة:** من ذلك قوله في محمد بن حسن بن محمد بن يوسف أبو عبد الله الفاسي: خبيرا باللغة مليح الكتابة. [٩]

---

(١) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ١٢٢). للابن الجزري مرجع سابق.
(٢) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٣٢٩) للابن الجزري مرجع سابق.
(٣) أخرجه الترمذي في البر والصلة: ٤/ ٣٣٧، باب ما جاء في أدب الولد، حديث (١٩٥١)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، كما أخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٩٦ - ١٠٢..
(٤) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ٣٤١) للابن الجزري مرجع سابق.
(٥) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٤٦٠) للابن الجزري مرجع سابق.
(٦) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (٢/ ١٨٤) للابن الجزري مرجع سابق.
(٧) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٦٠٢) للابن الجزري مرجع سابق.
(٨) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٢٤٠) للابن الجزري مرجع سابق.
(٩) ينظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١٢٢/٢) للابن الجزري مرجع سابق.

ومنه قوله: مليح النسخ ملازم الإقراء في محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون بن إبراهيم، أبو منصور البغدادي الدباس. (١) قال الذهبي: محمد بن عبد الواحد أبو غالب غالب الشيباني كان ثقة جليلًا عالمًا نسخ الكثير. (٢) والملح: الحسن وملح ملحاً فهو مليح والكاتب: لقب يطلق على المشتغل بالكتابة، كقوله إمام مقرئ كامل حسن الكتابة مجود التلاوة، في علي بن عبد الرحمن بن هارون بن عيسى بن هارون (٣) **ما يدل على المشاركة في التاريخ والانساب**، ذكر عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن أبو أحمد النوني الدمياطي وقال فيه الإمام الحافظ الكبير النسابة الأخباري (٤) وقال في الحسن بن عليل أبو علي العنزي: الأخباري العلامة (٥).

الخاتمة: – نسأل الله تعالى حسن الخاتمة

في نهاية هذا البحث أقول: بحول الله تعالى وتوفيقه توصلت إلى عدة نتائج منها:

– يبين البحث أهمية الوقوف على السنن الإلهية وفهمها واستنباط المراد من تفعيلها

– بين البحث الأهمية المرجوة في التعرف على أحد السنن الكونية وهي سنة التفاضل بين المخلوقات

– من خلال البحث يتضح أن المعايير الدنيوية الفانية لا تغني في الحيز العلمي ولا تنفع في المجال البحثي.

– ساقتنا مادة البحث إلى الأهمية العظيمة من الوقوف على أسباب التفاضل بين قراء القران الكريم إذ أنه من المعلوم أن القراء قد فاضل بعضهم بعضا، إما في أصل الرواية

(١) يظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١٩٢/٢) للابن الجزري مرجع سابق.
(٢) يظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١٩٣/٢) للابن الجزري مرجع سابق.
(٣) يظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٥٤٨) للابن الجزري مرجع سابق.
(٤) يظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٤٧٢) للابن الجزري مرجع سابق.
(٥) يظر: "غاية النهاية في طبقات القراء" (١/ ٢٢٦) للابن الجزري مرجع سابق.

كتفاضلهم في الشروط الأساسية لقبول روايتهم من العدالة: فيقدم الأعدل فالأعدل ممن نال حيز أوسع من التقوى والمروءة والصيانة والعمل الصالح، والضبط: فهو مما لا شك فيه من تقديم أتم الضبط عن تامه ويقدمان عن خفيفة، وكذلك التصدر للإقراء: فيتقدم المتصدر على غيره ممن تعلم القراءات ثم انزوي عنها وتركها، أو كتفاضلهم في شروط قبول القراءة من موافقة خط المصحف وموافقة الأثر: فيقدم الأكثر ارتباط بهما عن غيره، وموافقة وجه من اللغة: فيقدم من وافق وجها مشهورا ويؤخر من وافق النادر أو الغير معروف، إلى غير ذلك من الأمور التي ورد ذكرها في البحث.

– عرفنا من خلال البحث أن التقديم إنما يكون بالإقراء والمشيخة والترأس والتعليم والتعلم فيقال فلان مقرئ أهل هذا المصر؛ وذلك لأنه قد تقدم عليهم بما حباه الله من صفات فضلته على غيره من القراء، ويكون التقديم بالرغبة فيه والرحلة إلية والاجتهاد في طلبه، وذروة سنام فائدة هذا التفضيل هو تقديم رواية الفاضل من القارئين عن غيره عند الاختلاف وإبراز آرائه عن غيره وتأخير آراء المفضول.

– بيّن البحث أن اجتماع أهل العلم بالقراءات على ثلاثة شروط لقبول الرواية تتمثل في: صحة الاسناد وموافقة المصحف وموافقة وجه من العربية ولم يشذ عنهم الا ابن شنبوذ فكان يقرأ بكل قراءة صحيحة الاسناد وإن خالفت المصحف وكذلك ابن المقسم فكان يقرأ بكل قراءة جاءته ولو حتى بدون اسناد ولكنها موافقة المصحف واجتمع الاثنان على موافقة العربية.

– يجلّي البحث عن الأهمية الكبيرة للعلوم التي تكسب صاحبها فضل وينال من تحصيلها إشرافا وتقديرا على غيره ويرتفع بها درجات عن أقرانه وتلك العلوم في علاقتها بتحصيل القراءات منها ما تستلزم من الطالب الوقوف عليها ودراسته والإلمام بها كعلوم اللغة والنحو والعربية ، ومن تلك العلوم ما تزيد صاحبها ممن اشتغل بالقراءات فهما

وعلما وخبرة في التحصيل وجلالة عند التقديم كعلم الروايات ومع ذلك فهو في القراءات ليس على درجة اللغة فالقراءات لا تتوقف في الأصل على الإحاطة به ، ومن تلك العلوم ايضا الفقه الذي اشترط بعض العلماء في الرد بأساس الرواية عمن لا يشتغل بالفقه نظرا لأهمية هذا العلم وفضلة

– يكشف البحث عن العدد الحقيقي للمصاحف العثمانية المرسلة إلى الأمصار.

– يوضح البحث أن الشهرة قرينة قوية في قبول الرواية إن لم يتفق التواتر، ولكنها لا تعد بشيء إذا لم يتحصل اجماع البلد على قبولها. والشهرة مع القرائن ليست شرطا في توثيق الراوي وتصحيح الرواية إن لم تجمع عليهما الأمة وتتلقاها بالقبول.

فهرس المصادر والمراجع

القران الكريم

–إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني المتوفى ١٢٥٠ هـ، المحقق الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق –كفر بطنا، قدم له الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.

–أصول السرخسي لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، الناشر دار المعرفة، بيروت.

–الإبانة عن معاني القراءات لأبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي المتوفى ٤٣٧ هـ، المحقق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر

–الاتقان في علوم القرآن لأبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المحقق مركز الدراسات القرآنية، دار النشر مجمع الملك فهد، البلد السعودية، الطبعة الأولى.

–**الإسناد عند علماء القراءات** المؤلف د. محمد بن سيدي محمد الأمين، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة العدد ١٢٩ –السنة ٣٧ –١٤٢٥ هـ.

–**الاعلان في تكميل مورد الظمآن** لأبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفى ٨٠٧ هـ، المحقق حسين سليم أسد الداراني –عبده علي الكوشك الناشر دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١ –١٤١٢ هـ = ١٩٩٠ م –١٩٩٢ م.

–**البحر المحيط في أصول الفقه** لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي . سنة الوفاة ٧٩٤ هـ، تحقيق ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. محمد محمد تامر، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٢١ هـ –٢٠٠٠م، مكان النشر لبنان/ بيروت

–**البرهان في علوم القرآن** لأبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المتوفى ٧٩٤ هـ، المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ –١٩٥٧ م، الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ثم صورته دار المعرفة، بيروت، لبنان.

–**تأويل مشكل القرآن** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى ٢٧٦ هـ ، المحقق إبراهيم شمس الدين، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

–**تدريب الراوي** في شرح تقريب النواوي للجلال السيوطي ٨٤٩ –٩١١ هـ = ١٤٤٥ –١٥٠٥ م عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، الناشر مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف.

–**التحديد في معرفة الإتقان** والتجويد لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني المتوفى ٤٤٤ هـ، المحقق الدكتور غانم قدوري حمد، الناشر مكتبة دار الأنبار –بغداد / ساعدت جامعة بغداد على طبعه، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ –١٩٨٨ م،

–**التحرير والتنوير** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى ١٣٩٣ هـ، الناشر الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر ١٩٨٤ هـ.

–**تفسير الرازي** مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى ٦٠٦ هـ ، الناشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة١٤٢١. هـ ..

–**التقريب والتيسير** لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى ٦٧٦ هـ، تقديم وتحقيق وتعليق محمد عثمان الخشت، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ –١٩٨٥ م.

–**التمهيد** لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المتوفى ٤٦٣ هـ، تحقيق بشار عواد معروف –سليم محمد عامر –محمد بشار عواد، الناشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، عام النشر الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ –٢٠١٧ م

–**جامع البيان** في القراءات السبع لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني المتوفى ٤٤٤ هـ ، الناشر جامعة الشارقة – الإمارات، أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ –٢٠٠٧ م

–**جامع العلوم والحكم** في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي المتوفى ٧٩٥ هـ ، المحقق شعيب الأرناؤوط –إبراهيم باجس، الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢ هـ –٢٠٠١م

–**جمع القرآن الكريم** حفظا وكتابة المؤلف أ. د. علي بن سليمان العبيد، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

–**الجامع لأحكام القرآن** أو تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى ٦٧١ هـ ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر دار الكتب المصرية – القاهرة، عدد الأجزاء ٢٠ جزءا في ١٠ مجلدات الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ –١٩٦٤ م.

–**الحجة في القراءات** السبع المؤلف الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله المتوفى ٣٧٠ هـ ، المحقق د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب –جامعة الكويت، الناشر دار الشروق – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١ هـ.

–**الرعاية لتجويد القراءة** وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب القيسي، مؤسسة قرطبة – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، تحقيق: أحمد حسن فرحات، نشر: دار عمار بالأردن، الطبعة الأولي–**السبعة في القراءات**، لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي المتوفى: ٣٢٤هـ، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ .

–**السلسبيل النقي** في تراجم شيوخ البيهقي، لأبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، قدم له الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، والشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني، الناشر دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ –٢٠١١ م

–**السنن الإلهية** الكونية والاجتماعية لطائف وبصائر لـ د. رشيد كهوس، بحث منشور ضمن أبحاث مجلة تدبر في عددها الأول.

–**سنن الترمذي** لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ –١٩٧٥ م

–**سنن أبي داود** لسليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط –محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

–**سنن ابن ماجه** لمحمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله المعروف بابن ماجة وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية –فيصل عيسى البابي الحلبي

–**سنن الطبيعة والمجتمع** في القرآن الكريم دراسة تأصيلية تطبيقية للدكتور بكار محمود الحاج جاسم، طبعة دار النوادر لبنان سنة الطباعة ٢٠١٢

–**شرح باب توحيد الألوهية** من فتاوى ابن تيمية لناصر بن عبد الكريم العلي العقل، مصدر الكتاب دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

–**شرح اللؤلؤ المكنون** في أحوال الأسانيد والمتون لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي المتوفى ١٣٧٧ هـ ، الشارح عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير

–**شرح نخبة الفكر** مؤلف الأصل ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي المتوفى ٨٥٢ هـ ، الشارح عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.

–**شرح الورقات في أصول الفقه** للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي، المتوفى سنة ٨٦٤ هـ ، قدم له وحققه وعلق عليه الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة، الأستاذ المشارك في الفقه وأصوله، كلية الدعوة وأصول الدين –جامعة القدس، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ –١٩٩٩ م/ الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ –٢٠٠٠،

–**الشهرة مفهومها** وأثرها في النقد في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد، للدكتور بلخير حدبي، منشور في مجلة الحقيقة العدد ١٨.

–**صحيح البخاري** المسمي"الجامع الصحيح المختصر" لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، لطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة –جامعة دمشق

–**صحيح الجامع** الصغير وزياداته مؤلف الجامع الصغير من حديث البشير النذير، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، ومؤلف صحيح وضعيف الجامع الصغير محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) رحمه الله تعالى.

–**صحيح مسلم** المسمى "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

–**الضوابط والإشارات** برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر دار الكتب العلمية – بيروت –١٤١٥ هـ –١٩٩٥ م

–**الغاية في شرح الهداية** في علم الرواية للحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي المتوفى ٩٠٢ هـ ، المحقق أبو عائش عبد المنعم إبراهيم، الناشر مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

–**غاية المريد** في علم التجويد لعطية قابل نصر، الناشر القاهرة، الطبعة السابعة .

–**غاية النهاية** في طبقات القراء لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، المتوفى ٨٣٣ هـ ، الناشر مكتبة ابن تيمية، الطبعة عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١ هـ ج. برجستراسر.

–**غيث النفع** في القراءات السبع لعلي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي المتوفى ١١١٨ هـ ، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت، المحقق أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ –٢٠٠٤ م.

–**فتح الباري** شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر المكتبة السلفية، المعرفة –بيروت، ١٣٧٩ هـ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

–**الفهرست** لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم المتوفى ٤٣٨ هـ ، المحقق إبراهيم رمضان، الناشر دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ –١٩٩٧ مـ.

–**الكامل في القراءات** والأربعين الزائدة عليها ليوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهذلي اليشكري المغربي المتوفى ٤٦٥ هـ ، المحقق جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، الناشر مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ –٢٠٠٧ م.

–**الكفاية في التفسير** بالمأثور والدراية د. عبد الله خضر حمد، الناشر دار القلم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ –٢٠١٧ م

– **لطائف الإشارات** = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري المتوفى: ٤٦٥ هـ ، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة

–**مباحث في التفسير** الموضوعي مصطفى مسلم، الناشر دار القلم، الطبعة الرابعة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

–**المبسوط في القراءات** العشر لأحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر المتوفى ٣٨١ هـ ، تحقيق سبيع حمزة حاكيمي، الناشر مجمع اللغة العربية – دمشق، عام النشر ١٩٨١ م.

–**مجموع الفتاوى** لشيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، العناوين التي وضعها محققا طبعة دار الوفاء (أنور الباز وعامر الجزار) ط ٣، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م في الهامش أضيف كتاب صيانة مجموع الفتاوى من السقط والتصحيف، للشيخ ناصر بن حمد الفهد ،نشر: دار أضواء السلف، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م، الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.

–**محاضرات في علوم القرآن** لأبو عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح، آل موسى فرج الناصري التكريتي، الناشر دار عمار – عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ –٢٠٠٣ م.

–**المحدث الفاصل** بين الراوي والواعي لأبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي المتوفى ٣٦٠ هـ ، المحقق د. محمد عجاج الخطيب، الناشر دار الفكر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤

–**المدبج ورواية الأقران**، د موفق بن عبد الله بن عبد القادر الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة العدد ١١٦ _السنة ٣٤ _١٤٢٢ هـ

–**المرشد الوجيز** إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة المتوفى ٦٦٥ هـ ، المحقق طيار آلتي قولاج، الناشر دار صادر – بيروت، سنة النشر ١٣٩٥ هـ –١٩٧٥ م.

–**المستدرك** على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى: ٤٠٥ هـ، تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل، الناشر: دار التأصيل – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ–٢٠١٤م

–**المستطرف** في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، تحقيق د. مفيد محمد قميحة.

–**مسند الإمام** أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المتوفى: ٢٤١ هـ، المحقق: مكتب البحوث بجمعية المكنز الإسلامي، المشرف: الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، الناشر: جمعية المكنز الإسلامي –دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ –٢٠١١ م

–**معرفة السنن** والآثار للحافظ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي المتوفى ٤٥٨ هـ ، المحقق عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون جامعة الدراسات الإسلامية كراتشي –باكستان، دار قتيبة دمشق –بيروت، دار الوعي حلب –دمشق، دار الوفاء المنصورة –القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ –١٩٩١م.

–**معرفة القراء الكبار** على الطبقات والأعصار لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ، الناشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ–١٩٩٧م.

–**المفردات في غريب القرآن** لأبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى المتوفى ٥٠٢ هـ ، المحقق صفوان عدنان الداودي، الناشر دار القلم، الدار الشامية –دمشق بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ.

–**مقدمة ابن الصلاح** ومحاسن الاصطلاح لعثمان بن الصلاح عبد الرحمن بن موسى بن أبي النصر الشافعي ٥٧٧ هـ، مؤلف «محاسن الاصطلاح» عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعي، أبو حفص، سراج الدين المتوفى ٨٠٥ هـ ، المحقق د عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ أستاذ الدراسات العليا، كلية الشريعة بفاس، جامعة القرووين، الناشر دار المعارف.

–**المقنع** في رسم مصاحف الأمصار لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني المتوفى ٤٤٤ هـ المحقق محمد الصادق قمحاوي، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

–**المقنع في علوم الحديث** لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري المتوفى ٨٠٤ هـ ، المحقق عبد الله بن يوسف الجديع، الناشر دار فواز للنشر – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

–**مناهج التحصيل** ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها، لأبي الحسن علي بن سعيد الرجراجي المتوفى بعد ٦٣٣ هـ ، اعتنى به أبو الفضل الدمياطي –أحمد بن علي، الناشر دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ –٢٠٠٧ م.

– **مناهج المفسرين** لمنيع بن عبد الحليم محمود المتوفى ١٤٣٠ هـ ، الناشر دار الكتاب المصري – القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت، عام النشر ١٤٢١ هـ –٢٠٠٠ م،

–**منجد المقرئين** ومرشد الطالبين لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف المتوفى ٨٣٣ هـ ، الناشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ –١٩٩٩م

–**المنهل الروي** في مختصر علوم الحديث النبوي لأبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين المتوفى ٧٣٣ هـ ، المحقق د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر دار الفكر – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ

–**من هدي السلف** في طلب العلم لأبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني المتوفى ١٤٢٧ هـ ، الناشر دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١ هـ/٢٠٠١م

–**موسوعة التفسير** قبل عهد التدوين لمحمد عمر الحاجي، الناشر دار المكتبي – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ –٢٠٠٧ م.

–**ميزان الاعتدال** في نقد الرجال لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ –١٩٦٣ م

–**النشر في القراءات العشر** لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف المتوفى ٨٣٣ هـ ، المحقق علي محمد الضباع المتوفى ١٣٨٠ هـ، الناشر المطبعة التجارية الكبرى

جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY